مراجيون

من زمن التوهج

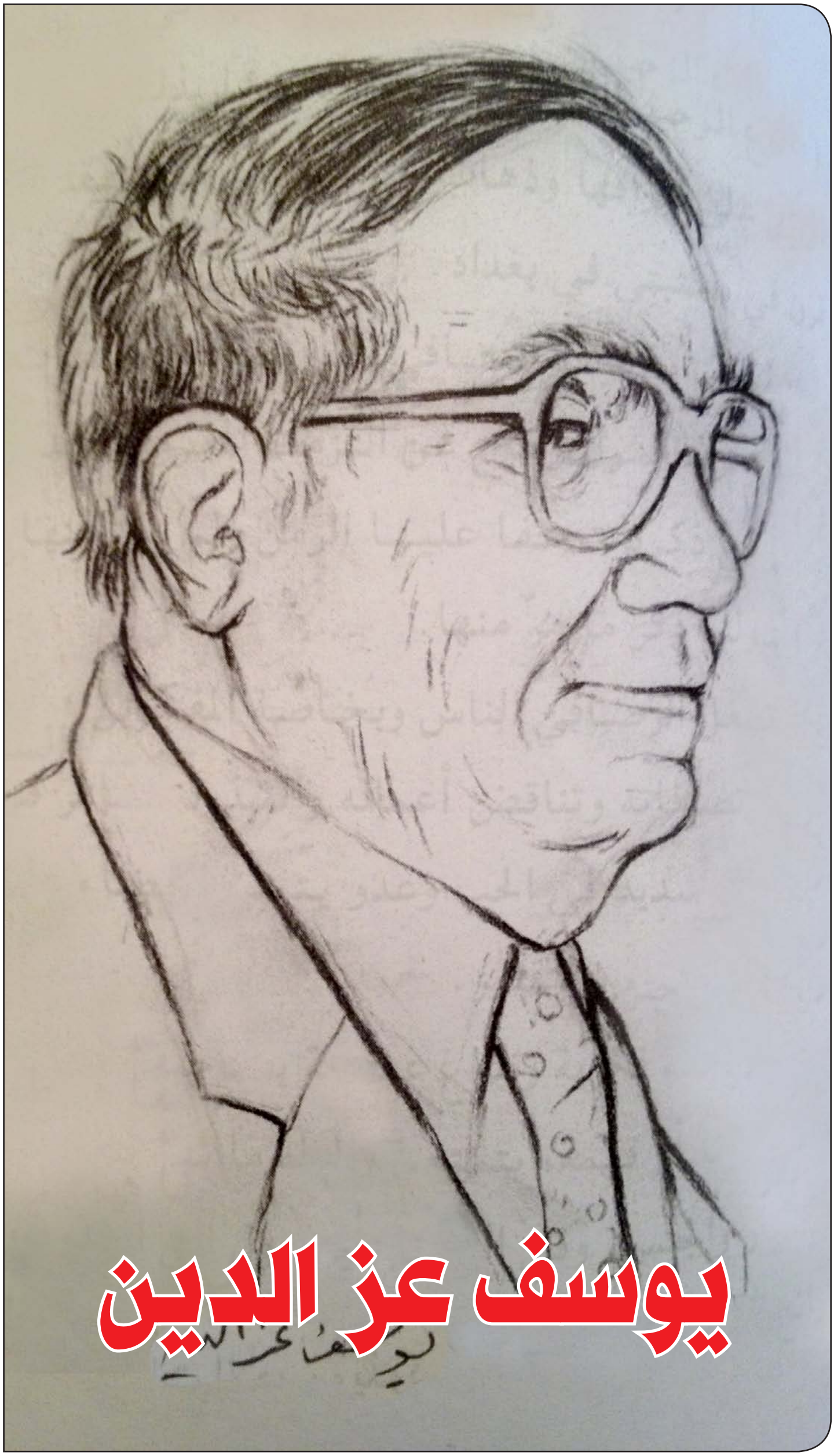

يوسف عز الدين

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3199) السنة الثانية عشرة

الخميس (23) تشرين الاول 2014

WWW. almadasupplements.com

شاعرية

يوسف عز الدين

عراقيون
من زمن التوهج

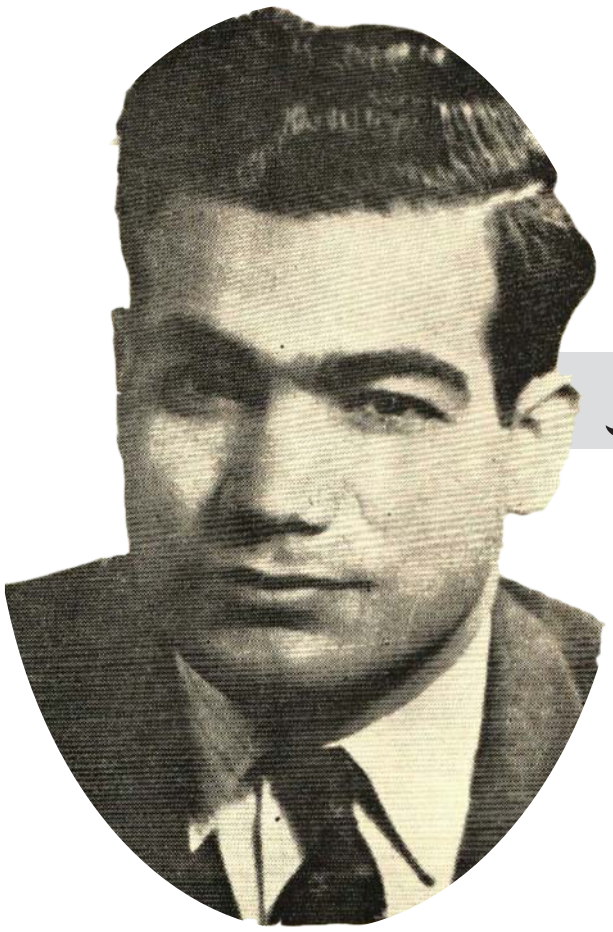

الدكتور يوسف عز الدين

نهر الإبداع المتدفق من قرية إمام عسكر حتى ويلز

شكيب كاظم

الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين علم من اعلام العراق الحديث ملأ دنيا الكتابة، كتابة وبحثا وتنقيبا وتحقيقا وشعرا وقصة، وقد لا تجتمع كل هذه المناحي والابواب في شخص فرد، لكن يوسف ذا القلم الجوال والعقل الخصيب المنتج طَرَق كل الابواب ففتحت له وتناول كل الفنون الادبية فاستجابت له ولا غرو في ذلك ففي حياته محطات عدة تشير الى تميزه بقابليات ومواهب جمة، تتيح له ما اتاحت فهو الطالب الجامعي الذي انتظم في جامعة الاسكندرية للحصول على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها في شهر شباط عام ١٩٤٦ وحاول المثبطون كسر همته وزعزعة عزيمته بأن النجاح يكاد يكون مستحيلا عليه هذه السنة وهي السنة الاولى في دراسته الجامعية،

كونه وصل متأخرا شهورا عدة من بدء الدرس، وما قد يجره هذا من هزائم نفسية واحباطات روحية، ينوء بها كلكل هذا الشاب غض الاهاب، القادم من العراق نحو ربوع مصر والاسكندرية ذاتها. لكنه بعزيمة الباحثين المنقطعين للدرس والبحث، واصل الليل بالنهار، وأكب على الدرس والتحصيل وحاز ثقة اساتذته ومنهم الاستاذ محمد خلف الله احمد، والدكتور محمد طه الحاجري، والدكتور محمد حسين، والاستاذ عبد السلام هارون والاستاذ حسن عون، وكان من زملائه في الكلية الدكتور ماهر حسن فهمي، الذي قرأت كتابه الزهاوي الصادر في ضمن سلسلة اعلام العرب والدكتور كمال نشأت، استاذي في كلية الآداب، في النصف الاول من سنوات السبعين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ اذ دَرَّسنا مادة البحث الادبي في الصف الثاني، ومادة النقد الادبي في الصف الرابع.

لم يقف جهد الاستاذ يوسف عز الدين عند البحث والدرس، وكان فيهما حاذقا ومجليا، بل اتجه ـ كذلك ـ الى النشاطات العامة خارج مجال الدرس فعمل على تأسيس جمعية الشبيبة العربية ولأن بذرة الشعر الكامنة في ذاته، والتي صبت اولى ارهاصاتها على الورق شعرا عاطفيا يوم كان في العراق، يوم حَصَبَنه الاخوات الثلاث بالحصباء فإن هذه البذرة نمت وازدهرت وازهرت ومدت اغصانها عاليا في دوحة الشعر والشعراء اردت ان انشر شيئا من شعري في الجرائد وكان في القسم الشاعر كمال نشأت، وهو من خيرة الشعراء رقة في الشعر والخلق، وكان الشاعر يؤثرني بقصائده ويسمعني اياها فأحس بالمعاناة التي يعانيها الشاعر ولاسيما وقد كنت اعرف الزميلات اللواتي ينظم فيهن الشاعر شعره وصرحت له برغبتي في نشر شعري فقال في الزمان صفحة ادبية يحررها ويشرف عليها الشاعر الكبير محمد الاسمر، فارسل له قصيدة من شعرك فقد يختار منها بيتين او اربعة ابيات لأن ما يصله كثير، واراد بذلك ان يدخل الاطمئنان الى نفسي .... ارسلت اول قصيدة كنت القيتها في الكلية بعنوان شهر منها

شهر وما احلاه من شهر كأنه بسمة في الثغر

قد مر بين الحب والطهر مثل الشذا الفواح في الزهر

وقلت للشاعر كمال ان نشر مقطع واحد فسوف اكون سعيدا لان صفحة الادب كانت مقروءة من اساتذة الكلية والشعراء والكتاب.

كنت اترقب الجريدة بفارغ الصبر وكانت الخيبة تؤلمني، وما كنت ادري ان الصفحة الثقافية اسبوعية. ولما يئست من نشرها لم اعد ارقب صدورها. وفي الصباح قابلني احد الاساتذة وعلى وجهه علامات الرضا والبسمة فقال لي

مبروك يا يوسف

قرأ علامات الدهشة على وجهي

فقال الم تقرأ الجريدة؟

أية جريدة؟

جريدة الزمان ففيها قصيدتك الطويلة، واكد على كلمة الطويلة. اكتسحتني موجة عارمة من السعادة ما شعرت بها من قبل. فقد نشرت في جرائد العراق عددا كبيرا من قصائدي لكن لم اشعر بمثل هذا الشعور الممتع الجميل، لعل اسلوب الاستاذ اللطيف وعلامة الاعجاب التي اظهرها لي هي التي نشرت المتعة والسعادة في روحي... ص٩٠ ص٩١ من كتابه حلو الذكريات ومرها . طبعة دار الابداع الحديث القاهرة ١٩٩٢.

لكن الاستاذ يوسف عز الدين، لم يذكر لنا اسم استاذه الذي زف له البشرى، ولقد لمست ذلك في الكثير من المواقع في كتابه الممتع هذا، ترى هل نسيها الدكتور ام ماذا؟ قد يكون له الحق في بعض الاسماء التي كانت مواقفها غير ايجابية، خشية نكء الجراح واثارة الشجن، ولكن لماذا في المجالات الايجابية؟

الرحيل الى بريطانيا

واذ اورد هذه الواقعة الدالة على مثابرة الاستاذ يوسف عز الدين ومجاهدته في ميدان الحرف والكتابة والبحث والدرس، فأن لهذه الواقعة اختا اكثر وقعا واشد دلالة على المعية هذا المفكر الاديب.

بعد ان حصل على الماجستير عام ١٩٥٣ عن رسالته الشعر العراقي في القرن التاسع عشر خصائصه واهدافه يعود الى العراق، لكن يقابل بفتور وموجدة، يحسد عليها ولا يوافقون على تعيينه استاذا في دار المعلمين العالية، كونه غير حاصل على الدكتوراه، مع ان عميدها يحمل الليسانس فيكون هذا الجفاء دافعا الى مزيد من التحصيل والمثابرة والضرب في مراقي التقدم باقدام مكينة راسخة، هذا الفتور الذي قوبل به ترك اثرا سيئا في نفسه، لكن هذا الانسان المجبول على المقارعة والمجاهدة، ما فت في عضده هذا العبوس وهذا الجفاء بل ترك اثرا معاكسا، فلكل فعل ردة فعل موازية في الاندفاع ومساوية ومخالفة في الاتجاه، فيمم وجه شطر المملكة المتحدة وجامعتها لندن، وهو الذي راسل عدة جامعات هناك لندن، كامبردج، اوكسفورد، فيأتيه الجواب من كل هذه الجامعات بالموافقة، في حين يأتيه الجواب من جامعة القاهرة، بعد مرور سنة لكنه اختار اعرقها واكثرها شهرة، فذهب نحو لندن، واذ التقى هناك باستاذه الفرد كيوم وهو قس، ومثال للطيبة والخلق الرضي، وقد خدم الاسلام والعرب عندما ترجم السيرة النبوية، ثم حوله على الاستاذ داود كاوون لانه سوف يغادر منصبه الى احدى الجامعات في امريكا وشيكا، واتذكر الاستاذ داود كاوون رئيس دائرة الاستشراق في جامعة لندن يوم القى محاضرة علينا، نحن طلبة كلية الآداب في شهر نيسان ١٩٧٤ عن الاستشراق وجهود المستشرقين في تحقيق تراث العرب والمسلمين، لكنه جوبه من بعض الطلبة بما يزعج

يطلب منه استاذه المشرف التحضير لامتحان التعادل لشهادة الليسانس وان ينتظم في معاهد لاقان اللغة الانكليزية، نطقا، وحذق اللهجة الانكليزية، ولم تفده اعتراضاته كونه يحمل الماجستير والليسانس فلماذا هذه المعادلة؟ لذا وطد العزم على المجاهدة والمُدارسة بعد ان لم يُستجب لاعتراضاته وعليه ان يبرهن لهم بالواقعي والملموس، امكاناته الباهرة على الدرس والتحصيل، وما هي الا اشهر ثلاثة، حتى طلب من استاذه كتابة بحث باللغة الانكليزية عن الادب العربي، ولشد ما كانت المفاجأة، فلقد أُعْجِبَ الاستاذ ببحث طالبه، ولغته الانكليزية الممتازة التي استخدمها استخداما ذكيا، وهو الذي زادَ حصيلته اللغوية بالدرس والاختلاط، اخذها شأن الباحثين العرب الاوائل، الذين دونوا اللغة العربية وقعَّدوا قواعدها، اخذوها شفاها من السِنة ابناء الجزيرة العربية، بعد درسها ومدارستها، وهذا ما كان من امر يوسف عز الدين، الذي حذق الانكليزية عن طريقتين الدرس والمشافهة، فكانت النتيجة كتابة راقية زاهية، وكدت اقول لا ارقى منها لطالب عربي وصل حديثا الى عاصمة الضباب والمطر، لكنها الموهبة والقابلية والابداع ورقة الحاشية ورهافة الشعور، صبها الله تعالى في عقل هذا الانسان الباحث الدائم الدائب عن كل جديد وفريد في دنيا البحث والعلم والكتابة، وكان من اثر هذه الدراسة الرصينة، التي نالت اعجاب استاذه واستحسانه ان وصلت اليه بعد اسبوع من الزمن، رسالة تخبره باعفائه من امتحان التعادل وقبوله في مرحلة الماجستير.

يقول الدكتور يوسف عز الدين كنت في لندن اسابق الوقت واذلل الصعوبات واواصل الليل بالنهار للدراسة والعمل والترجمة والكتابة ودراسة اللغة الانكليزية واجادة الكتابة. وقد كنت اقبل على عملي بشوق برغم المَشاق التي كنت اعانيها، ولا احس بالوقت حتى تطل عليّ الشمس من الشباك واحس بحرارتها تحيي هذا الغريب الوحيد في حجرة بلسعة منها المرجع السابق ص١١٨.

لكن هذا النجاح ما كان ليجعل الغرور يتسرب الى نفسه، فالغرور قاتل الابداع والتألق، واذ مرت ستة اشهر اخرى على درسه وبدء تحضيره للماجستير، حتى اعفاه استاذه من ذلك، اعترافا بقابليات هذا الطالب النابه العلمية وواصل الدرس لينال الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٥٧ عن رسالته الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية Poetry in the social and political development of ٢٠th century Iraq وعلى الرغم من ان الجامعة التي تخرج فيها، رغبت اليه ان ينتظم في عدادا اساتذتها الا انه لم يوافق على ذلك، وآثر العودة الى وطنه العراق ليضع علمه وتحصيله في خدمة وطنه وليرد بعض الدين الذي عليه الى العراق، وما فتئ ان اصبح استاذا في كلية الآداب«جامعة بغداد، ثم معاونا لعميدها، العلامة الدكتور عبد العزيز الدوري، حتى اذا جاء الدكتور مهدي المخزومي عميدا آثر الانصراف، لاختلاف المشارب والاتجاهات.

هناك من البشر من ينحني امام المصاعب والمثبطات التي تواجهه في مسيرة الحياة، فتراه يذعن لارادتها ويوطن النفس على العيش بما قسم له، ولعل ذلك ناتج عن ضعف في شخصية هؤلاء، وتطامن ازاء احداثها، ولكن يوسف بما جبل عليه من شمائل حميدة، وبما حباه الله من خصال، كان يوظف هذه المثبطات نحو مزيد من التقدم في دنيا البحث والدرس، ونيل ارقى الشهادات العلمية.

حدث ان توجه مدير معارف لواء ديالى وهو الذي امضى سنوات عدة من عام ١٩٤١ ١٩٤٦ في مهنة التعليم في قرى ديالى ونواحيها، طالبا منه نقله الى مركز اللواء كي يستقر قرب اسرته، لكن المدير ضعيف الشخصية الذي كان يقع تحت مؤثرات ذوي النفوذ، وعائلة زوجته المتنفذة، قابل طلبه بعدم اهتمام، واذ حاجَّةُ يوسف، بما يملك من حق وقوة حجاج، فما كان من المدير وقد أُسْقِطَ في يده، والذي لم يستطع قرع الحجة بالحجة لضعف موقفه الاداري، الا ان يدير ظهره، وهو الجالس على كرسي دوار متحرك ماسكا بيده

الجريدة، موحيا بانتهاء المقابلة وعدم رغبته بتلبية مطلبه العادل بالنقل.
كانت هذه المقابلة المخيبة للآمال، والتصرف غير المنضبط لمدير المعارف سببا في توتر نفسي حاد عصف باهاب ذلك الشاب،وكان عليه رد التصرف بما يماثله، وكيف يكون عند يوسف عز الدين؟، يكون الرد بتخطيه عن طريق اثبات الذات وقدراتها العلمية، اذن فليتوجه نحو بغداد، ونحو وزارة المعارف ذاتها، كي يقدم طلبا لغرض الموافقة على منحه اجازة دراسية لنيل الليسانس وتشاء المصادفة الجميلة ويشاء الحظ السعيد ان يتولى وزارة المعارف الاستاذ صادق البصام رحمه الله الشخصية دمثة الاخلاق والمخلصة في عملها، يقدم يوسف الطلب فيوافق عليه، بعثة الى الاسكندرية التي وصلها في شهر شباط من عام ١٩٤٦ وكان قد مضى على بدء الدروس شهور وشهور لكنه يوطن النفس ويشد العزم ويربط ليله بنهاره قراءة ودراسة لتعويض ما فاته من ايام الدرس وتمضي السنون ليحصل على الليسانس بمرتبة الشرف، وتظل هذه المرتبة؛ الشرف او الشرف الاولى؛ ملازمة له في الليسانس والماجستير من الاسكندرية والدكتوراه في جامعة لندن ولعل من مفارقات الحياة ان هذا المدير اسرع بمقابلته بكل الترحاب واظهاره المودة مهنئا اياه بالشهادة الجامعية العليا يوم عاد حاملا الدكتوراه راغبا اليه زيارته في مكتبه كما ان المعلم الذي عرض يوسف عز الدين قصيدته الشعرية ايام الطلب واجهه بكل ما في قاموسه من عبارات اللؤم وخفض الهمة مصرحا بانه يصلح لكل شيء الا للشعر هذا المدرس الذي كان يقرض الشعر هو ذاته يذهب اليه يوم اضحى امينا للمجمع العلمي العراقي والذي كان يرأسه في ذلك الوقت ١٩٦٢ الدكتور ناجي الاصيل اذ كانت الدولة في العراق اقامت بداية شهر كانون الاول ١٩٦٢ مهرجانا علميا ثقافيا سمي مهرجان بغداد والكندي دعت اليه كبار العلماء والادباء والباحثين وعددا من اهل الاستشراق، وشارك الشعراء فيه فشاء هذا المدرس الشاعر المشاركة في المهرجان بقصيدته فذهب متنازلا عن غطرسته وغلوائه ناسيا كل ما قال من قول راجيا من تلميذه الذي اصبح ما اصبح عليه ان يطلع عليها لانه لم يجد في كل العراق من يستطيع عرض قصيدته عليه، او يأتمنه عليها والله في خلقه شؤون
ولد يوسف عز الدين بن السيد احمد بن السيد عبد الرزاق السامرائي، في مدينة بعقوبة، بداية العقد الثالث من القرن العشرين، وكان ابوه ضابطا في الجيش العثماني، وشارك في معارك هذا الجيش في الاناضول وقفقاسية، وغيرها من الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد اعدائها، حتى اذا انتهت الحرب الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ بهزيمة الدولة العثمانية، عاد فيمن عاد من الضباط العراقيين والعرب الى بلادهم، ولقد عُرف عن ابيه كرمه وابائه واخلاقه الحميدة، وكان يطلق عليه لقب السيد فالعائلة كانت تسكن مدينة سامراء، وبيدها سدانة الروضتين المطهرتين للامامين الجليلين الحسن العسكري وعلي الهادي عليهما السلام ويرجع نسبها الرفيع الى الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ورضي الله عنه وارضاه وتشاء النوازع الذاتية لان تدق اسفينها بين الاعمام والاخوة فتنشب معركة دامية شرسة بين الطرفين الامر الذي يدفع والي بغداد داود باشا الى تجهيز حملة عسكرية لفض الاشتباك وحقن دماء الاخوة وابناء العمومة ومعاقبة المسيئين فتتفرق الاسرة في انحاء شتى من العراق والدول المجاورة وحتى البلاد البعيدة فاصبح منهم راجات في الهند، فيما سكن آخرون في ايران في حين شاء اجداده السكن في لواء ديالى وعاشوا فيها ردحا طويلا من الزمن.

الرصافي

واكبت نتاجات الدكتور يوسف عز الدين وكتاباته منذ وقت مبكر يعود الى منتصف سنوات الستين من القرن العشرين فكنت اقرأ ما ينشره في المجلات والجرائد العراقية، وبين يدي مقالته التي خصصها للذكرى الثانية والعشرين لوفاة الشاعر الكبير معروف بن عبد الغني الرصافي ١٩٧٥ الجمعة ١٦ آذار ١٩٤٥ اذ نشرها الملحق الادبي لجريدة الجمهورية يوم الخميس ١٦ من آذار ١٩٦٦ كما اطلعت على كتاباته الاولى ومنها كتابه داود باشا ونهاية المماليك في العراق وفيه سرد لاحوال العراق في العقود الاخيرة من حكم الدولة العثمانية، مستندا على مصادر عديدة ووثائق وثقت لتلك المدة وخاصة ممن عاشها وعاصرها معرجا على داود باشا ونهاية الحكم المملوكي في العراق كما اطلعنا على قصائده التي كان ينشرها في الصحف والمجلات العراقية الاقلام مثلا، وكانت الدراسة التي كتبها عنه المرحوم خضر عباس الصالحي، وعن شعره تناول فيه شاعرية الدكتور يوسف عز الدين من خلال التجوال في دواوينه الثلاثة الاولى ١ في ضمير الزمن ٢ الحان ٣ لهاث الحياة وصدر الكتاب شاعرية يوسف عز الدين للاستاذ خضر عباس الصالحي عام ١٣٨٣ ١٩٦٣، فكان سياحة فكرية ذوقية جميلة في ثنيات هذه الدواوين الثلاثة التي لم يقصرها الشاعر على لون من الوان الشعر واغراضه فترك قريحته الشعرية تجوب حقول الشعر ومعانيه، بحثا عن فرائده وازاهيره، وضوعا لعبيره وعطره، فكتب في اغراض الشعر المتعددة فنراه متغزلا عاشقا مرة، ونراه اخرى واصفا، وثالثة مودعا مستذكرا، ولأن الموت باغت الباحث الاديب خضر عباس الصالحي مبكرا فلم يتسن له دراسة دواوين الشاعر الاخرى التي نشرها في اوقات لاحقة مثل دواوينه من رحلة الحياة وهمسات حب مطوية.
كان الدكتور يوسف عز الدين استثناء بين المبدعين حيث عرف في بداياته شاعرا قرزم الشعر او غرزمه يوم كان طالبا في الصف الاول الثانوي وبدأ قصيدته بكلمة إيه وكأنه ارتكب جريمة كبرى وتنبأ له مدرسه بانه لايصلح للشعر وعليه تركه هذا الرأي كاد يخرس تلك الاصوات المترنمة في اهاب يوسف عز الدين لكن شاء الحظ ان يكون في المدرسة استاذ فلسطيني اسمه ميشيل حداد كان شاعرا فعرض عليه الطالب بعضا من شعره فاستحسنه وبث في نفسه نسغ الثقة واريحية الشعر حتى اذا اصبح معلما في قرية امام عسكر واندلعت حركة مايس ١٩٤١ التحريرية كان يذهب الى دار الاذاعة اللاسلكية في بغداد ليذيع منها قصائده الحماسية لنصرة الجيش العراقي المتصدي للقوات البريطانية المتعسكرة في سن الذبان والشعيبة او تلك التي نشرها في الجرائد كما ان سفره الى الاسكندرية لغرض الدراسة في جامعتها كان حافزا قويا لصقل موهبته الشعرية وخاصة بعد اختيار قصيدته من قبل رئيس القسم كي تلقى في المهرجان في الحفلات السنوية كانت القصائد تعرض على رئيس القسم لاختيار الجيد منها بعد ان تجمع عنده ومنها يختار قصيدة لتلقى تمثل القسم في حفل الكلية السنوي.
كنا حشدا من الطلاب وكل واحد منا جلب قصيدة وتمنى ان يكون هو الفائز بالقائها .... وكنت احس باني غريب بين الطلاب لاختلاف اللهجة والصحبة فقدمت قصيدتي وجلست بعيدا فكان رئيس القسم ينادي على اصحاب القصائد لتلاوة جزء منها .. جاء دوري وكان امتحانا صعبا الطلاب يجلسون في حجرة رئيس القسم الكبيرة فدخلت والحياء يغلبني والخجل يسيطر عليّ ... ولم تطاوعني نفسي في الالقاء، واحس الاستاذ محمد خلف الله احمد بما يعتمل في نفسي، وبدأ يداعبني، ولما اطمأنت نفسي وهدأت، قرأت ابياتا من قصيدة النيل اولها

لا تسألني عن جمال السكون وعن الربيع الامل الحالم
قد انعشتني في ظلال الفتون نفحة طيب من شذا هائم
قد صافح العطر رفيق الغصون فاحتفلت بالموسم الباسم

رأيت وجه الاستاذ يتهلل وينصت بكل مشاعره وقلبه ويبتسم ابتسامة حلوة عذبة وكأنه اكتشف شيئا جديدا ... ولم يتمالك نفسه فقال احسنت. وعندما اكملت المقطع الاول ..... قال كفى.
رجحت ان تكون مجاملة أستاذ لتلميذه... فقد كان يسمع مقطعا واحدا من كل قصيدة.... التفت الى الطلاب وقال انتهى الاختيار... تفضلوا بالخروج واتركوا قصائدكم عندي ولما خرج الطلاب وكنت معهم ناداني وقال انتظر لا تذهب اجلس ولما جلست قال انك الذي سوف تلقي قصيدتك في الحفل .... كانت الفرحة كبيرة لم اكن اصدقها ص٨٨، ص٨٩ المرجع السابق.
كما ان نشر جريدة الزمان المصرية المسائية التي كان يصدرها الشاعر المصري المعروف محمد الاسمر، لاول قصيدة بعثها الى الجريدة، واحتلت القصيدة صفحة كاملة هي كل الصفحة الثقافية، شكل دافعا آخر قويا نحو ولوج عالم الشعر بثقة وطموح، حتى اذا استوى من هذا الشعر ما يشكل ديوانا، اصدر ديوانه الشعري الاول في ضمير الزمن اصدره في مدينة الاسكندرية عام ١٩٥٠ عن دار الطباعة الحديثة، اردفه بديوانه الثاني الحان الصادر في الاسكندرية كذلك سنة ١٩٥٣ وقدم للطبعة الثانية منه الصادرة عام ١٩٧١ الشاعر المصري الكبير احمد رامي بقصيدة جميلة، جاء في مطلعها

طالعتني ابكار عز الدين سانحات في جنة وعيون

وبودّي ان اطلع القارئ الكريم على مقدمة الطبعة الثانية من هذا الديوان الحان لمن لا يستطع قراءتها في الديوان لنفاده، ولأن فيها خلاصة لرأي يوسف عز الدين في طريقة نظم الشعر وارهاصاته وبداياته ومكوناته. يقول سألني سائل كيف اصبحت شاعرا؟ وكنت في بداية حياتي الشعرية فاحترت في الجواب لاني وجدت نفسي انظم الشعر واترنم بموسيقاه واطرب لالحانه دون ان اعرف الخليل الفراهيدي وعروضه نظمت الشعر دون ان اعي هذه الحقيقة واخذت اسأل نفسي السؤال نفسه واراجع ذكريات الطفولة القديمة وما بقي من ظلالها الشاحبة في اللاشعور فكان بينها ذكريات خروجي منعزلا في خارج المدينة متجولا بين الفضاء المطلق والدنيا الرحيبة وجدت نفسي اترنم بكلمات والفاظ لا معاني لها وبلا هدف ظاهر غير صوت موسيقى يلم شتاتها تسير على هذا النغم وانا اطرب له فما هي تلك المخارج والالفاظ الموسيقية التي كانت تواتيني والتي كنت اقضي بها وحدتي في التجوال متمتعا بها وكأني اعزف على قيثارة صوتية مخارجها صوتي وترانيمها مشاعري؟
ما كنت في تلك السن ادرك من الشعر معنى ولا اعرف ما الشعر ولا النثر فهل كانت هذه البداية هو الحس الموسيقي وهل كانت ولادة موهبة الشعر؟
فاذا كان الجواب هي بداية الشعر فهو يولد مع الانسان وينبع مع احساس داخلي ويبرز بالصقل ويكبر بالرعاية والعناية وقد اتيحت لي فرصة لنمو هذه الموهبة بديوان اهدي لي وجدت نفسي فيه غايتها ومشاعري متنفسا في قراءتها فبدأت احفظ هذا الديوان بلذة وشغف ولم تعد الترانيم المبهمة التي اردادها كلمات واصوات دون معنى فقد عوض الشعر بموسيقاه عن مخارج تلك الكلمات وموسيقى تتناسق معه تلك الاصوات غير المفهومة ثم بدأت احس بأن في صدري شيئا وبأن في قلبي احساسا يريد ان يظهر ولكني لم اكن قادرا على الايضاح او مستطيعا على الافصاح وفي ليلة من الليالي كنت اقرأ قصيدة من قصائد الشعر الذي هزني انتابتني نوبة غريبة وشعور مبهم دفع بي الى تقليد القصيدة ولكني لم اكن قادرا على السير في فحواها، فقد اصابني الاعياء، وذهبت تلك النوبة الغريبة .... والشعر خلجات تتدافع في النفس عارمة لايمكن للانسان ان يقف ضدها، فتثور هذه الخلجات، وتفيض العواطف، فينظم الشاعر شعره كما يغرد العندليب اغاريده وكما تهب النسمة العذبة الرخية، ويفوح الشذا العبق، وهو اسير قوة خارجة عن ارادته، لايمكن ردها، هو الالهام، او هي السليقة، او هي الموهبة، سمها ما شئت، فقد جهل الشعراء هذا الامر وحسبوه سحرا .... وكلما تنوعت ثقافته وزاد محصوله اللغوي كان اقدر على حديث العبارات، وصوغ العواطف، لانهما من ادوات الشاعر التي تملي عليه الدقة في التعبير، وصياغة المعاني متى قدر على السيطرة اللغوية اصبحت اللغة طوع آرائه والخيال ملك تعابيره .....
شهدت نهاية النصف الاول من القرن العشرين، ظهور لون جديد من الوان الشعر وقد جاء هذا التجديد على يد الشاعرة العراقية المبدعة نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري وشاذل طاقة، واذا كان السياب نشر قصيدته الاولى المسماة هل كان حبا؟ في ديوان ازاهير ذابلة ، ناسجا وشيها على اللون الشعري الجديد الذي اطلقت عليه تسميات كثيرة لعل اقربها للدقة شعر التفعيلة ولم يكن ليعلم انه يخترع جديدا، فأن نازك كانت اوسع افقا اذ كانت تعي ما تقول وتعمل، ونظمت قصائدها الاولى التي نشرتها في ديوانها الاول شظايا ورماد الذي صدّرته بمقدمة وضحت فيها هدفها من الكتابة بالنهج الشعري الجديد، لكني وجدت في القصائد الاولى للشاعر يوسف عز الدين ما يشير الى بل ما يؤكد، ولوجه هذا الميدان مبكرا، وضربه بسهم وافر، وتوصل الباحث البولندي أنجي دريفنوفسكي في رسالته للماجستير الموسومة بـ يوسف عز الدين شاعرا وناقدا الى توصلات قمينة بالمدارسة والمراجعة والتثمين اذ نص على ان يوسف عز الدين يعد من اوائل من كتب بهذا اللون بشعر التفعيلة.

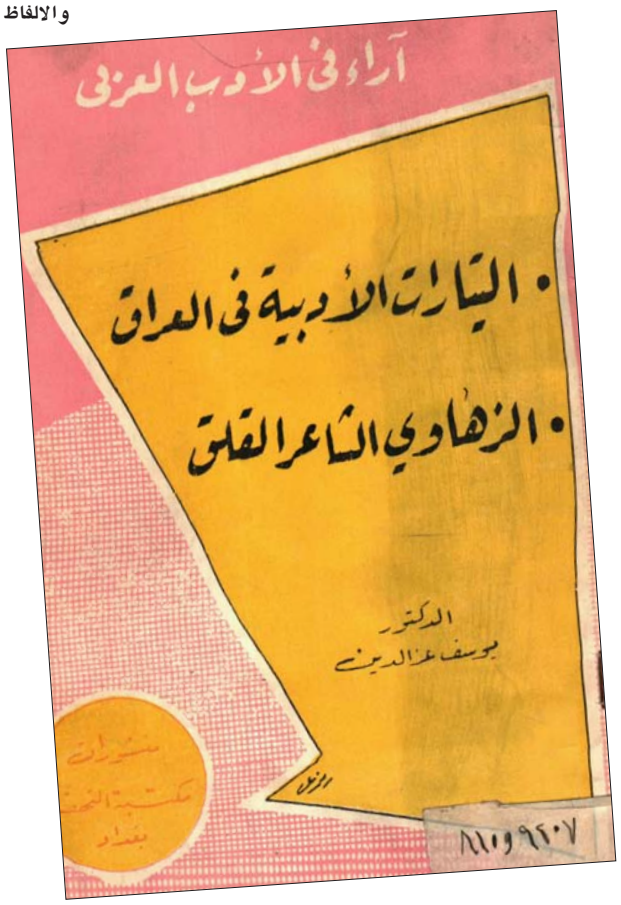

الدكتور يوسف عز الدين..
مـن عـلـمـاء الأدب ونـقـده

ا.د.ابراهيم خليل العلاف
باحث ومؤرخ

الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين استاذ الادب العربي الحديث في جامعة بغداد وجامعات عربية اخرى ولسنوات تصل الى النصف قرن ..تجاوز عمره الان (كانون الثاني -يناير ٢٠١٣) ال ٩١ عاما ..عرفته استاذا مقتدرا ، ومربيا فاضلا ، ومؤلفا نشطا ،وانسانا طيبا ، متواضعا .. في اواسط الثمانينات من القرن الماضي التقيته في الرياض بالسعودية عندما القيت عددا من المحاضرات في جامعة الملك سعود حول الحرب العراقية -الايرانية وقد استعدنا الايام التي عرفته فيها في بغداد وحملني بعض الكتب لولده الاستاذ الدكتور أسل الذي كان يعمل استاذ في كلية الطب بجامعة الموصل وللمكتبة المركزية العامة في الموصل.

له كتب ودراسات لاتعد ولاتحصى ..كان علامة بارزة في المشهد الثقافي العراقي ابان الستينات من القرن الماضي وما بعدها .من مواليد بعقوبة- محافظة ديالى سنة ١٩٢٢ ويقال ١٩٢٠ كتب عنه كثيرون ، كما كتب هو عن كثيرين . من مؤلفاته التي تتوفر في مكتبتي كتابه الشهير : "الشعر العراقي:أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر" وقد طبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٧ وهو اطروحته في جامعة لندن . كما ان له كتاب عن " شعر العراق الاجتماعي " باللغة الانكليزية.. وكتاب عن "الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية "القاهرة ١٩٦٠ .. وكتاب عن " الفكر العراقي الحديث " ..وكتاب عن "داؤود باشا " ..وكتاب عن الشاعر "خيري الهنداوي : حياته وشعره "وكتاب عن فهمي المدرس وكتاب عن الشاعر محمد الهاشمي وكتاب بعنوان :" شعراء العراق في القرن العشرين" ، طبعته جامعة بغداد سنة ١٩٦٩ وكتاب "الرواية في العراق :تطورها وأثر الفكر فيها " ،طبع في القاهرة سنة ١٩٧٣ ، وكتاب "القصة في العراق : جذورها وتطورها " القاهرة ١٩٧٤ وكتاب :" الرصافي يروي سيرة حياته "وطبعته دار المدى ببغداد سنة ٢٠٠٤ .. ومن دواوينه الشعرية :في ضمير الزمن ١٩٥٠ – ألحان ١٩٥٣ – لهاث الحياة ١٩٦٠ – من رحلة الحياة ١٩٦٩ – همسات حب مطوية ١٩٨٨ – أوجاع شاعر ١٩٩١ – شرب الملح ١٩٩٢ – النغم الحائر ١٩٩٢ – أيام ضاعت ١٩٩٢ – ليس يدري مصيره ١٩٩٣ – صدى الطائف الحلوة ١٤١٣ هـ – رجع الصدى ١٩٩٤. "ألحان مصر " .

ومن أعماله الإبداعية الأخرى : قلب على سفر (رواية) ١٩٧٨ – ثلاث عذارى (قصص قصيرة) ١٩٨٧ – النورس المهاجر (رواية) ١٩٩١.كما حقق مخطوطة شعر الاخرس .

كان يشغل منصب الامين العام للمجمع العلمي العراقي .فضلا عن عضويته في مجامع علمية بالقاهرة ودمشق وعمان والهند ، وهو عضو جمعية الأدب المقارن في كندا. كما عمل قبل ذلك عميداً للدراسات العليا في جامعة بغداد ومديرا عاما للصحافة والإرشاد ..كتب ولده الاستاذ الدكتور موئل يوسف عز الدين وهو الان في جامعة ويلز ببيريطانيا معلقا على مقالة كتبها الدكتور ابراهيم الحيدري عن والده في موقع ايلاف بعنوان "يوسف عز الدين في اعوامه التسعين " ، وطالب فيها تكريم هذا الرمز الادبي الكبير :"يؤسفني ان ارى الأساتذة المستقلين من الأوربيين من امثال اوديت بتي استاذة السوربون او ادموند بوزورث استاذ مانشستر يكتبون عن يوسف عزالدين ليعترفوا بقدره وما قدمه للأمة من بحوث وكتابات في حين ان اخوانه وأبناء جلدته يشككون فيما يكتب عنه لا لشئ الا لخلاف بينهم وبين كاتب المقال..." . يقول الدكتور ابراهيم الحيدري :"فالدكتور يوسف عز الدين الاستاذ والباحث المدقق هو أحد علماء اللغة والأدب والنقد في العراق، الذي شكّلت مساهماته ومحاضراته ومناقشاته ومؤلفاته العديدة اسهاما غنيا في رفد الحركة الفكرية والأدبية والنقدية في العراق والدول العربية. وتشهد بحوثه ومؤلفاته في الادب والنقد والشعر والقصة، التي تجاوزت الستين كتابا وبحثا، وما ألّف حوله من كتب ورسائل جامعية ، على موسوعيته واهتماماته المتنوعة في دراسة الظواهر والتيارات الفكرية والاجتماعية التي مر بها العراق والعالم العربي. ويظهر ذلك في تتبعه لمظاهر تاريخ الأدب الحديث في العراق منذ القرن التاسع عشر والوقوف عند أبرز المحطات الهامة فيه. كما انه أول من وضع دراسات نقدية لبدايات القصة في العراق تمتاز بعمق التحليل للحياة الاجتماعية والفكرية في العراق. وبذلك يمكن اعتباره من رواد الحداثة في العراق. فهو يرى بان من عوامل التجديد في الشعر الحديث هي عوامل نفسية ومشاعر ذاتية ومعاناة دفينة كما ظهرت عند بدر شاكر السياب ونازك الملائكة.

كما انه وقف وبقوة ضد الاتهامات الموجهة الى اللغة العربية والدعوات التي تنادي بتجديدها والتي تعتبرها غير صالحة لمواكبة العصر واكتساب العلوم والمعارف والتقنيات. فهو يرد عليهم بقوله، انها لغة الضاد، وهي اللغة التي وضعت بها أسس المعارف ونبغ بها علماء في شتى الامصار الاسلامية وابدعوا تراثا انسانيا رفيعا تمثل بكتاب نهج البلاغة وكتب الجاحظ والبيروني وابن المقفع وابن سينا وغيرهم. وهو من الأوائل الذين نبهوا الى أثر الفكر العربي في الفكر الغربي. فقد أثرت اللغة العربية على الشاعر الالماني الكبير غوته وعلى تينسون الانكليزي ودانتي الايطالي وجاك بيرك الفرنسي ، وهو دليل على ان اللغة العربية ليست صعبة الاستيعاب" .

له كتب ودراسات لاتعد ولاتحصى ..كان علامة بارزة في المشهد الثقافي العراقي ابان الستينات من القرن الماضي وما بعدها .من مواليد بعقوبة- محافظة ديالى سنة ١٩٢٢ ويقال ١٩٢٠ كتب عنه كثيرون ، كما كتب هو عن كثيرين . من مؤلفاته التي تتوفر في مكتبتي كتابه الشهير : "الشعر العراقي:أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر" وقد طبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٧ وهو اطروحته في جامعة لندن .

الدكتور يوسف عز الدين.. شاعراً وأديباً

ميـر بصري
باحث راحل

الاستـاذ الجامعـي الشاعـي يوسف عز الديـن بـن السيـد احمد بن عبـد الرزاق ينتمـي الى اسـرة سامرائيـة تنحدر من عشـيرة البـو صالـح الشيـخ وترتقـي بنسبها الى الامام موسـى الكاظم سليل الامـام السبـط الحسين بن علـي بن اب طالـب. ولـد سنـة ١٩٢٢ في بعقوبا من اعمـال ديـالى، وكان ابـوه ضابطـا في الجيش العثماني اصله من بلدة سامراء تركها لخلاف نشا بين اسرها.

اتم يوسف عـز الدين دراسته الابتدائية والمتوسطـة متنقـلا بـين المقداديـة وبعقوبا. ثم انتقل الى بغداد ودرس في دار المعلمـين الابتدائية وعـين معلما في قريـة امام عكر من قـرى بلدروز. وذهب سنـة ١٩٤٦ للدراسـة في كليـة الاداب بجامعـة الاسكندريـة فحاز علـى شهادة الليسانس بشرف والماجستير بشرف.

عاد الى بغداد فعـين مدرسا في المدارس الثانويـة في تشريـن الاول ١٩٥١ ثـم حصـل علـى اجـازة دراسيـة فذهب الى لنـدن ودرس في جامعتهـا . وتتلمذ على المستشـرق الفرد كيوم ونـال الدكتوراه في الاداب ١٩٥٧.

عـين مدرسـا في كليـة الاداب ومعاونـا للعميد، ثم اصبـح امينا للمجمع العلمي العرقـي سنـة ١٩٦٢ في عهـد رئيسـه الدكتـور ناجي الاصيل. وعـين بعد ذلك امينـا عامـا للمجمـع واختـير عضـوا فيـه في ايـار ١٩٦٤ مـع بقائـه مدرسـا في كليـة الاداب. وكان امينـا لجمعيـة المؤلفـين والكتاب العراقيـين فرئيسا لها سنـة ١٩٦٩. وقـد انتـدب للتدريس في جامعـة الرياض وانتهى بـه المطاف في الطائف بالمملكة العربية السعودية حيث اسهـم في الكتابـة في عدد مـن الجرائد والمجـلات كالجزيـرة والفيصل والمجلة العربية والمدينة والندوة.

وكتـب الي في تمـوز ١٩٩٢ ان له نحوا مـن اربعـين مؤلفـا طبعـت في القاهرة وتعـذر استيرادهـا، وقـال: "ومـع ذلك سـوف احـاول (ارسالهـا اليـك) عندمـا اذهـب الى مؤتمـر مجمع اللغـة العربية في مارث المقبل باذن الله".

والدكتـور يوسـف شاعـر وطنـي حيـا حركـة مايـس ١٩٤١ ونضـال الجزائـر وفلسطين.

ونظـم الشعـر العاطفي الجميـل وكتب القصص والبحوث الادبية. قال انه تأثر بشعراء وادباء كثيريـن، منهم الجاحظ والمتنبي والرصـافي والصافي النجفي والشبيبي الكبـير وشوقي والبارودي. وقـال: انا احـب الناس، ومـا دخل قلبي بغضـ لأحـد منهـم لايمائي بـان الحب بغـير كثـيرا مـن النفوس الخـبرة التي غيرتها المصائب.

تـرك وطنه الـذي احبـه وخدمـه وغنى لـه اجمل الالحـان واعذبها فجـرع كأس المـرارة والأسـى، وقال قصيدتـه شرب الملح ، ١٩٩١).

ربة الشعر، هل علمت بحب
بين هجر تشنقينه ويقرب؟
والعشيات رخمت صوت وجد
همسات النجوم من كل درب
اترى يوقد الحنين رواء؟
من اتون الجراح ينزف قلبي
ليت شعري، والرمل رمل بلادي
ومياهي بهاتساغ لشرب
نزفت من جراحها موج هم
ترتوي من دماء اهلي وصحبي
يشرب الملح كل عضو جريح
ايداوي بالملح جرح المحب؟
كم وضعنا من التفرق سما
لدغته اسنان افعى وذنب
شهداء النضال في كل ساح
رويت من دمائهم كل شعب
وتغنت بهم ثغور المعالي
وزهت فيهم الماء بشهب
بدمانا نذود كل شنار،
بشباب ما هاب حمأة حرب
حرقوا ذلة الهوان بعزم،
مهروا في الخلود اصعب درب

مؤلفاته:

الشعـر العراقي الحديـث واثر التيارات السياسيـة والاجتماعيـة، بـين الحداثة والمحافظـة، اثـر الادب العربـي في مسـرى الادب الغربـي، الشعـر العراقي خصائصـه واهدافـه في القـرن التاسع عشر، خيري الهنـداوي حياته وشعره، الروايـة في العـراق تطورهـا واثـر الفكـر فيهـا، داود باشا ونهايـة المماليك في العـراق، من ضمـير الزمـن (شعر)، مخطوطـة شعـر الاخرس (تحقيـق)، الاشتراكيـة والقوميـة واثرهمـا في الادب الحديث، شعراء العراق في القرن العشريـن (ج١) ، في الادب العربـي الحديـث بحـوث ومقـالات نقديـة، مـن رحلة الحيـاة (شعـر)، في ضمير الزمن (شعـر)، الحان (شعـر)، فهمـي المدرس مـن رواد الفكـر الحديث. والـف باللغة الانكليزيـة: المشـاكل الاجتماعيـة في العـراق وتأثيرهـا في الشعـر (١٩٥٨) ، تحريـر النسـاء العراقيـات: النسـاء وتاثيرهـن في الحيـاة والشعر العراقي ١٩٥٩، الشعـر والمجتمـع العراقـي (١٩٦٢) الشعـر الحديـث في العـراق ١٩٦٩، اغاني من بغداد ١٩٨٤.

قال حضر عباس الصالحي: "ان الدكتور يوسـف عـز الديـن شاعـر استوحـى موضوعاته من صلب البيئة التي عاش فيها، وعكس تجـارب الحياة في شعره، ذلك الشعر المفعـم باصالة الفن من حيث مضمونـه، وصـوره الجماليـة وتدفـق حـرارة الحيـاة في شرايينـه. تسمـو فيه الافكار الخـيرة والمعـاني السامية والاحاسيس الجميلة.".

وقـال الدكتـور داود سلـوم ان اسلـوب يوسـف عـز الديـن يتميز بقوتـه وشدة الفاظه وتركيبـه مما يترك اثرا في نفس القارئ. انه خـال من روح الطراوة التي تسود اثـار العصر. لكنه لا يلوم الشاعر اخذا في الحساب المستمر الادب العربي القديم واتصاله الدائـم بالمكتبة العربية بحكم عمله وواجب الدراسة.

كلمة ختامية

انتخب الدكتور يوسف عز الدين عضوا بالمجمـع العلمي العراقـي ومجمع اللغة العربيـة في القاهـرة ومجمـع اللغـة العربيـة في دمشـق والاردن والمجمـع العلمـي الهنـدي وبيـت الحكمـة في تونـس. وتـولى التدريـس في كليـة الاداب في بغـداد وجامعـة بنـي غـازي وجامعة الملك سعود في الرياض ومعهد الدراسـات والبحوث العربيـة بالقاهرة وكليـة الاداب في جامعـة صنعاء وكلية التربيـة في جامعة ام القـرى بالطائف.

وقد شارك في مؤتمرات ادباء العرب في بغداد والقاهـرة وبـيروت، ومؤتمرات مجامع اللغـة العربية في تونس وبغداد والقاهـرة، ومؤتمرات الجزيرة العربية في الرياض ومؤتمر الـتراث الاسلامي في الاردن ومؤتمـر الادب العالمـي في ويمـار وبرلـين ومؤتمـر ادبـاء آسيـة وافريقية في الصـين وطاشقند ومؤتمر المستشرقين في الهند.

وتـولى رئاسـة تحريـر مجلـة الكتـاب التي اصدرتهـا جمعية المؤلفين والكتاب العراقيـين وجريـدة "النـدوة" ومجلـة كلية لاداب في العين الخ.

مـن مؤلفاتـه الاخـرى: قولـة في النقـد وحداثـة الادب، مخطوطـات عربيـة في مكتبـة صوفيـا الوطنيـة، تراثنـا والمعاصـرة، قلـب علـى سفـر، ثـلاث عـذارى، النورس المهاجـر، قضايـا من الفكـر العربـي، التحـدي الحضـاري والغزو الفكـري، حلو الذكريات ومرها، همسـات حب مطويـة، وعـادت الذكرى بطرائفها وغرائبها، الى الديار الممنوعة، الخ.

كرمه الشعراء والادباء في البلاد العربية شعراً ونثرا، قال فيه احمد رامي:

يا رفيق الشعر تبعث في قلبي
وجدي وتتجيش حنيني
انت جددت في فؤادي شكواه
ونبهت غافيات شجوني
فطواني الذي طواك من الوجد
وارسلت ساكنات انيني

وقال خالد الشواف:

لهاث حياتك ما اعجبه
لمن يتملى وما اغربه
فهذا اللهاث على وقده
هو البرد للأكبد الملتهبة
وهذا اللهاث لهاث العناء
به ساحة الانفس المتعبة
إذن لا اقول العجيب الغريب
ولكن هذا الشعر ما اعذبه!

وقال الدكتور مصطفى جواد:

إذا ذكر الشباب ابر حقا
عليهم يوسف الشهب الاديب
وإن ذكر الصحاب طما عليهم
ولم يدركه تذب او اريب
دؤوب يوسع الاداب نثرا
ويكتب ما يعز وما يطيب

وقد اصـدر الاستاذ حمـاد السالمي كتابا باسـم "اشعـار المحبـين الى يوسف عز الديـن" جمع فيه ما قالـه اربعون شاعرا عربيـا . وكتبـت عنـه كتـب بالعربيـة والفرنسية والانكليزية تثني على شعره وادبـه. وكان من الرواد، فقـال الدكتور عبد اللـه العبـادي إن ريـادة يوسف عز الدين لم تقتصر على الابداع في التأليف والـرأي والمنهج، بل تعدتهـا الى ريادته في المساهمة اللغوية الحديثة في مجامع اللغة.

عن كتاب اعلام الادب في العراق

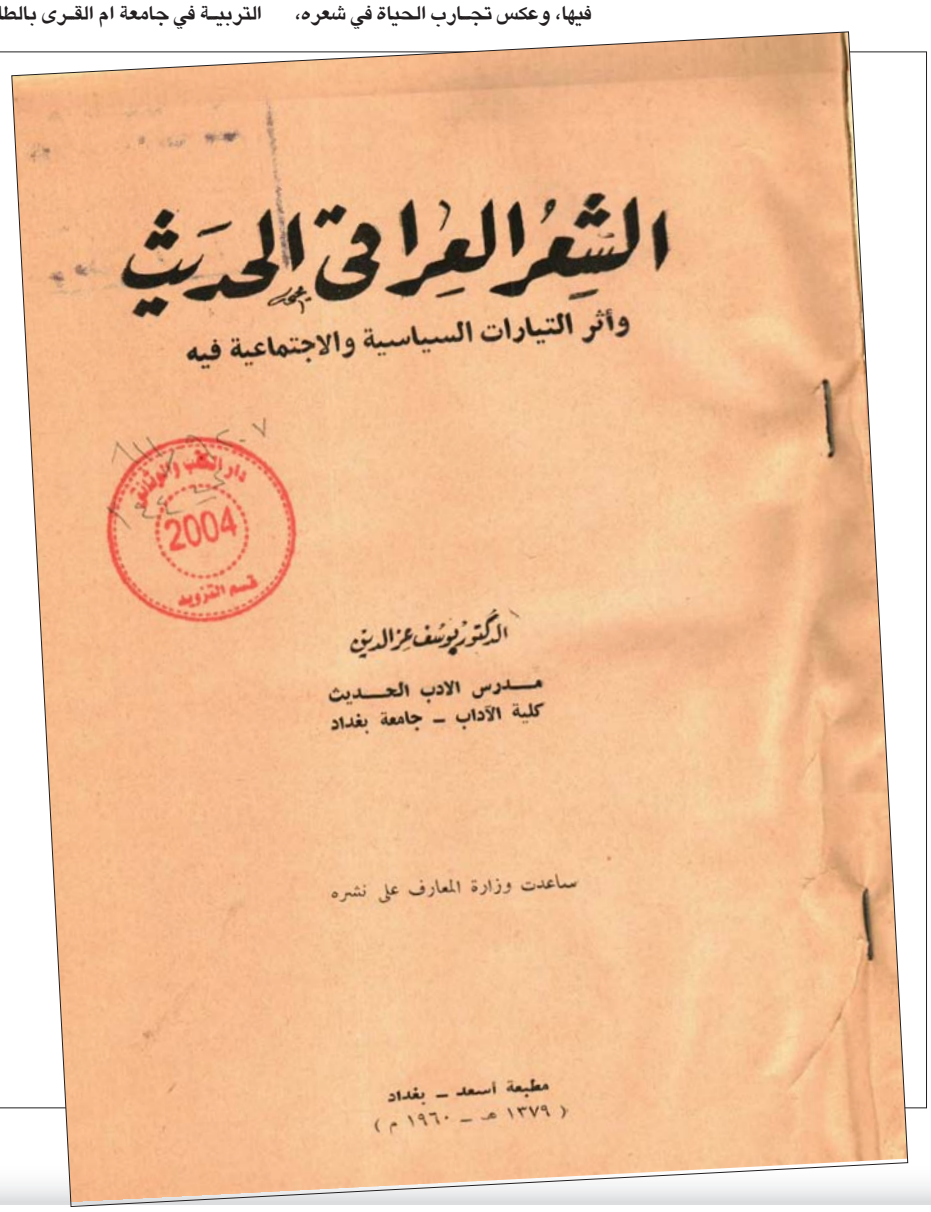

شاعرية يوسف عز الدين

خضر عباس الصالحي
أديب راحل

الدكتور يوسف عز الدين من الطليعة الواعية في موكب الادب العربي الحديث. تمرس بشؤون الفكر والحياة، وواصل السعي الدائب في طلب المعرفة ونشدان الحكمة، والاندفاع في كشف حقائق النفس البشرية. وواكب كل نشاطات الحياة، ومجالات الواقع، وواكب التيارات الادبية المعاصرة، واحاط احاطة تامة بميادين الثقافة، وبكل الاتجاهات والنزعات الفكرية التي تسود عصره، وكافح من اجل ان تاخذ الكلمة الشريفة مكانتها المرموقة في النفوس، ونذر العمر للحرف والمحبة وتأليف القلوب، ومحو الاحقاد، والسعي وراء تحقيق الغايات السامية..

لقد انبثق من اعماق الجماهير، وكرس حياته وشعره لخدمة اهداف الشعب وتحقيق امانيه القومية، فهو انموذج حي للتضحية والاخلاص، ومثل رائع للجهاد ونكران الذات، والتوكيد على ضرورة وقوف الشاعر الى جانب شعبه والتعبير عن قضاياه العامة، والتجاوب ازاء ظرفه الراهنة.

انه في مقدمة شعراء العرب الذين نادوا بالاراء التقدمية كالوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية، والثورة على القديم البالي، وتبني المثل والمبادئ والقيم الرفيعة التي لايتبناها غير الانسان النبيل، الانسان العربي المخلص لعروبته، الغيور على مصالح ومطامح شعبه، فهو يكتب له، ويفكر من اجله، ويعيش الامه وامانيه.

هذا الشاعر الحساس، الطيب القلب، الواسع الخيال، المالك لموهبة الشعر. يعمل دوما على تغذية الجيل العربي الواعي بالوان الثقافة القومية، وتسليحه باسلحة الكفاح الثوري، والاتصال الوثيق بالشعب، والسير في طريق النور والخير والصلاح، ودنيا البطولات والمجد والخلود، واقامة مجتمع عربي ينبض بكل الطاقات الخيرة.

انه انفعل بمحيطنا، وترجم احاسيسنا، وسعى لتركيز معاني القيم والمثل والاهداف النبيلة في الاذهان، لانشاء جيل صالح قوي بجسمه وخلقه وعقله، والاندفاع بقوة واصرار نحو مستقبل افضل، وتحقيق السعادة عن طريق خدمة الاخرين، ونشر المفاهيم السامية، ودعم الحق، وتغذية الناس بالايمان والفكر والروح، والتحليق بالنفوس الى عوالم تتالف بالمثل العليا.

ان الشعر يعيش في عروقه، ويتغذى من دمه، وشعره غنى بالثورة الفنية الرائعة، ويمثل نفسه الثائرة المتمردة اقوى تمثيل. ونلمس فيه الطبيعة الانسانية في ثورتها وهدوئها، في آلامها وافراحها، في تحرقها وحنينها.

وشعره انيق الديباجة، بليغ العبارة، ناصع البيان، حافل بالاستعارات والتشبيهات والصور. ويدل على مقدرة فنية، وفكر ثاقب، وسعة اطلاع، يتسم بالجمال والحق والخير، ويتصف بالجدة والطرافة والخيال. ويتشوف الى كل جديد يساير موكب الحياة السائر نحو التطور. ويهتم بالانسان ويحترم انسانيته ويدافع عنها، ويهدف الى اغناء ادبنا العربي بالتعبير الصادق. والتناغم في الشكل والمضمون، والبحث بحماس عن طرق جديدة لخلق صور مشعة رائقة، وتكثيف التجربة العميقة وعرض خلاصتها.

لقد انتج آثارا شعرية رائعة، تمتاز بالصدق في التعبير، والاخلاص في التصوير، والنزاهة في الهدف وعبر عن افكاره في اسلوب شعري جميل، نتيجة مراس ونضج في التجارب الذاتية، وحسن الانتقاء اللفظي المعبر عن الصور الفنية، وامتلاك ناصية البيان، وتتم اغراضه الشعرية عن نزعته الانسانية، وروحه الخيرة، وخلاصة تجاربه في الحياة. والنظر الى قضايا عصره من خلال مشاعر الذاتية!

عصر وجدانه واسال فكره في شعره الذي يدبجه في عفوية وطلاقة، لتصوير المشاعر التي تكتنفه، والافكار التي تراوده، ونلمس فيه غنى الالوان الشعرية، وصورا للجيل الحاضر، لآلامه وقلقه، ووعية المرحلة الراهنة التي تجتازها الامة العربية.

لقد قدم لادبنا العربي المعاصر مجهودا بعيد الاثر، وانتاجا يكشف عن موهبة اصيلة في عرضه لافكاره، وتطلعه الى ابداع صور جديدة، ويمكن القول دون مقالاة، ان وراء كلماته من المعاني الرفيعة عالما رحبا زاخرا بالاطلالة الشاملة الفاحصة للكشف عن حقائق الحياة، وتخلى عن التعابير الملتوية المعقدة التي لا توصل اللى غاية، ولا تهدف الى معنى، ولا تقود الى حقيقة، واعتمد الرموز والصور والرؤى الحالمة، فشعره يهز النفوس لما فيه من جمال الصور وشفافية اللغة، واصالة في التعبير، فيحس كل قارئ انه يعبر عن ذات نفسه.

قال الشعر في المرأة والطبيعة والحياة، فكان الشاعر المتمرس في ضروب الفن، ذا الخيال الرحيب، والعاطفة الصادقة!. وقدم لنا باقات فواحة من الشعر وذات مستوى ادبي رفيع بما تحمل من شحنات فكرية وعاطفية.

ومن هنا كان حرص الشديد يدفعني الى الكتابة عن دواوين هذا الشاعر الذي يحمل رسالة الهدى والخير والفضيلة الى بنى قومه العرب. وشاقني الاطلاع عليها، والاقبال عن قراءتها، والاهتمام بها للكشف عن مواطن الجمال في روائعه الشعرية الملأى بالطرائف والمعبرة عن افكار الشاعر وعواطفه، والبعيدة عن التضليل والدجل والامتهان، واحاول بشيء كثير من الصبر والاناة، والتزام الروح الموضوعية، ان استخلص ملامح ومزايا شعره، وابراز قيمه الفنية.

وتثمين شاعريته الخصبة، وشخصيته الغنية بالمواهب، ولا اطلق الاحكام العفوية دون دليل او شاهد.

ان الادب العربي كسب كثيرا من ارتياد ميدان النقد الذي يتناول قضايانا الادبية والفكرية على اساس موضوعي، الذي هو المنطلق الرحب لبناء مستقبل ادبي افضل.

لقد سعيت جهد ما استطيع. آن افي هذا الدواوين الثلاثة حقها من النقد والتحليل. واستقراء جوانب رائعة من شعرها.

وسرد الشواهد، وضرب الامثلة، واعطاء التقييم السليم ، والمعالجة الواعية، مجاراة للتطور الادبي.

وفي هذه الدراسة جانب من الجوانب الادبية التي درستها هو الجانب الشعري وهنالك جوانب اخرى في النقد والتاريخ الادبي والتوجيه الفكري بما كتب من نثر وما نشر من كتب ومقالات ارجو ان يتاح لها دراسة لتنير جميع جوانب الشاعر.

وانني ملزم بتسجيل حقيقة واضحة، وهو اشتداد ساعد الحركة الادبية في العراق، ومضاعفة الاهتمام بموضوع الدراسات بحيث لايدع مجالا لك. بعد انفاجر ثورة الرابع عشر من رمضان الجبارة التي دكت صروح العزلة الاقليمية، واعادت العراق الى ركب العروبة الصاعد، وازالت الطاغية المجنون، وقضت على ركائز حكمه الشعوبي الاسود، الذي اشاع الحزن في كل قلب، وسرق البسمة من كل شفة. انها الهمتنا العزم الاكيد على استرداد الاجزاء العربية السليبة من وطننا الكبير الذي هب اليوم ليطرد الدخلاء الغاصبين من ارضه الطيبة بفضل تعاظم الحركة القومية التحررية المستعرة الاوار التي ستحقق الوحدة العربية الشاملة التي هي حلم الملايين!

انها فتحت ابواب الاستقرار والطمأنينة والخير للجميع. وفسحت المجال الواسع امام المفكرين الاحرار للعمل بمثابرة وجد نحو نتاج ادبي رائع، وتناول الاثار الادبية بالدرس والتحليل، تلك الاثار التي لم تنل الاهتمام الذي هي حقيقة به. ونبذ المناهج التقليدية في الشعر، والحرص على الانتاج الدائب لبناء قيم فنية جديدة، بعد ان رفع الكابوس الذي شل الحركة الفكرية.

عن مجلة المثقف العراقي

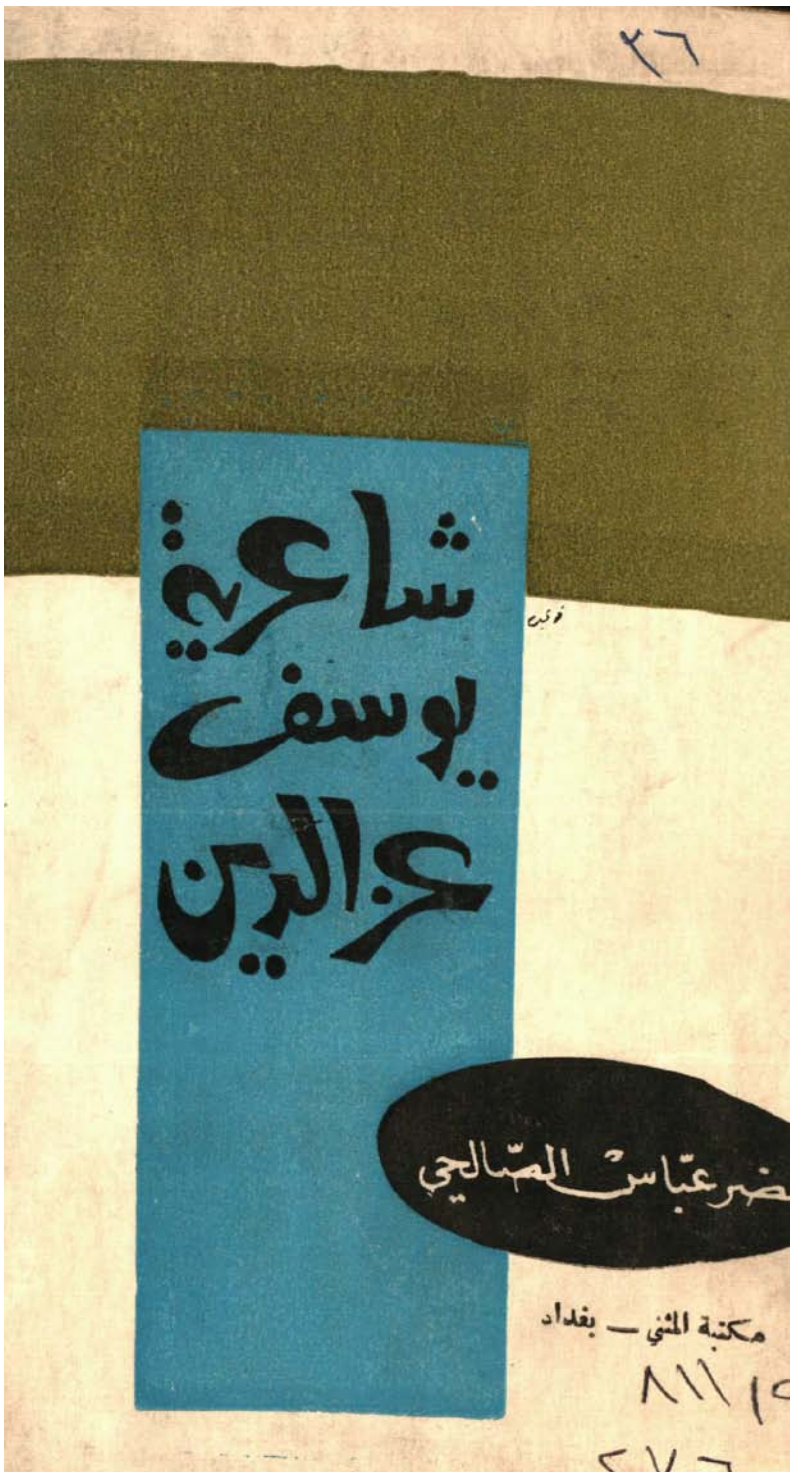

د. يوسف عـز الدين
رحيـل مغتــرب

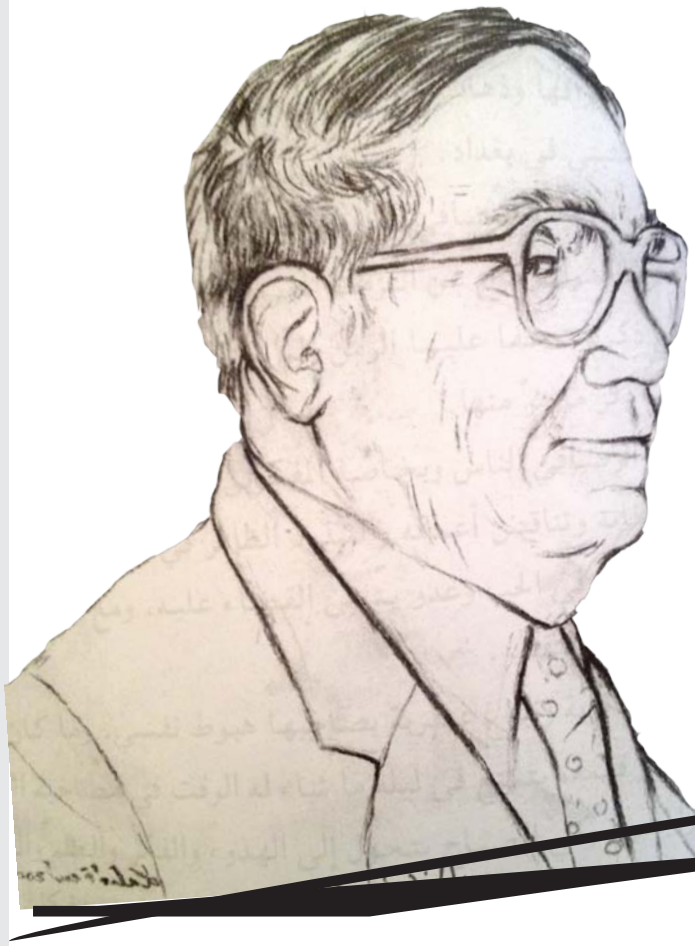

د. عائض الردادي
باحث سعودي

انتقل إلى رحمة الله يوم الثلاثاء ١٤٣٤/٥/٢٨هـ الموافق ٩ أبريل ٢٠١٣م د. يوسف عز الدين في مقاطعة ويلز في بريطانيا عن عمر ناهز ٩١ عامًا، بعيدًا عن العراق والعالم العربي الذي أغناه بأدبه وفكره، وعن أصدقائه الذين لم يتمكنوا من العزاء فيه.

والدكتور يوسف عز الدين بن السيد أحمد السامرائي ولد في بعقوبة في العراق عام ١٩٢٢م، وحصل على دبلوم دار المعلمين والماجستير فالدكتوراه في الآداب، وكان عميدًا للدراسات العليا في جامعة بغداد، وعضوًا في المجمع العلمي العراقي حينما كان هذا المجمع مركز العلم والثقافة في العراق، إضافة إلى عضويته في مجامع القاهرة ودمشق والأردن والهند، وعمل أمينًا عامًا للمجمع العلمي العراقي، كما عمل عميدًا لكلية الآداب في الإمارات العربية المتحدة أستاذًا في كلية الآداب في جامعة الملك سعود في الرياض عدة سنوات، وفي كلية التربية في الطائف حيث مكث فيها عدة سنوات، وعمل قبل ذلك في جامعة بني غازي في ليبيا ومعهد الدراسات والبحوث في القاهرة، وكلية الآداب في صنعاء، إنه عراقي المولد عربي الفكر والانتماء.

وهو من أبرز أدباء العصر الحديث وشعرائه ونقاده، وصدرت له عدة مؤلفات باللغة العربية والإنجليزية، وقد تجاوزت ٣٥ مؤلفًا، في الشعر العراقي الحديث، والأدب العربي الحديث، وفي الرواية، وفي الفكر، وله أكثر من ١٢ ديوانًا.

لقد أثرى يوسف عز الدين الثقافة العربية أينما حل: أستاذًا جامعيًا مقتدرًا، ومربيًا فاضلًا، ومؤلفًا مثريًا للمكتبة العربية، بل أثرى المجالس الثقافية في كل مكان عمل به، مع تواضع العلماء وأدب الأدباء، وإنسانية الشعراء، وترك أصدقاءً في كل مكان أقام فيه، لما لديه من دماثة خلق وحرص على الالتقاء بالمثقفين، وكان مدافعًا قويًا عن اللغة العربية، شديد الانتماء لثقافته العربية والإسلامية في العالم العربي وخارجه، وأعرف له مواقف حازمة لا يتسع المقام لسردها.

من المؤسف أن يموت يوسف عز الدين مغتربًا بعد أن خرج من منزله في بغداد ولم يعد إليه منذ عقود، ولئن مات في بلاد تناءت به عن عالمه العربي فقد بقيت مؤلفاته ودواوينه وروايات وكتبه النقدية على رفوف المكتبة العربية مخلدة لمثقف من أبرز مثقفي العصر الحديث، حيث درَّس وأقام وألَّف في أكثر من بلد عربي.

لله ليالٍ جمعتني بالراحل الكبير في ندوة الراحل عبدالعزيز الرفاعي، حيث كان يوسف عز الدين زينة لهذا المجلس الثقافي الذي كان يديره مؤسِّسه عبدالعزيز الرفاعي بدماثة خلقه وعلو مقامه في الثقافة، وكان يوسف عز الدين واحدًا من أعلام الثقافة والأدب الذين كانوا يثرون هذا المجلس بفكره، وشعره، ونقده، مع خفَّة روحه ومداعباته، ولاشك أن أصدقاءه الذين فقدوه بالغربة ثم بالموت في الغربة ستبقى تلك الذكريات من أجل ما يحملون من ألق الماضي، وهو لم يقطع اتصالاته عندما قرر أن يقيم في بلاد بعيدة، وكنت ممن يواصله بالاتصالات الهاتفية قبل أن يتقدم به السن وينهكه المرض.

يوسف عز الدين مفكر شاعر، راوٍ، ناقد، حمل عقله الفكر، وقلبه الحب للعراق، وللغة العربية، وللثقافة العربية، ولأصدقائه، وتحمل الكثير في سبيل رسالته الثقافية وآخرها أنه يموت غريبًا، وهو يرى العراق يجثم فوقه احتلالان، وكل ذلك لا يحتمله من يحمل مثل قلبه وحبه للعراق وعروبته، رحمه الله وجزاه خيرًا عن كل جهد وفكر قدّمه لأمته، وعزاء للدكتور أسل وإخوته الكرام ولأصدقائه.

عن جريدة الرياض السعودية

التجديد في الشعر الحديث

تقوم قاعدة الشعر الخالد الأصيلة على الإبداع الحر والموسيقى الجميلة والمعنى السامي والجمال الممتع. ويعد أحساس الشاعر بالحرية أول قواعد الإبداع والتجديد في المضامين الفنية للأديب، فمتى خاف العقاب أو متى أحس بالظلم ورأى الطغيان أمامه فقد حريته، وتجمدت أفكاره. ولبد الخوف قابليته وهز الفزع نفسيته.. فالخائف لا يقدر على التجديد، والمذعور لا يملك القابلية على التطور، فيموت الشاعر فكريا.

فريدة الأنصاري

واليوم نرى الشعراء تائهين بين اللفظ والمعنى،وما عرفوا بأن الألفاظ أوعية وأطر تحمل المعنى وتُوصل الشاعر والمفكر إلى ما يطرحه من فكرة في النص، وأما النقاد فمعظمهم يساوون بين المعنى واللفظ بصورة عامة،وواضح ذلك في الصناعتين وعيار الشعر والخصائص والشعر والشعراء. هذا ما سجله الباحث والناقد د. عزالدين يوسف في دراسته عن " التجديد في الشعر الحديث ".وهي دراسة جاءت بعد تجربة طويلة في حقول الأدب وممارسة جادة في فنونه على مختلف الأزمنة والأماكن، فيناقش في هذا الكتاب الآراء العامة والخطوط العريضة للتيار الحديث في الشعر، بحكم كونه شاعرا وناقدا رأى في دراسته هذه صعوبة الوقوف عند كل شاعر، لذا أخذ أمثلة عامة من الشعراء الأوائل، وكما ذكر في مقدمة الكتاب بأن القوانين والقواعد تأخذ من مصدرها الأصلي،وهم الرواد الأوائل ومن يقاربهم في الريادة والفكرة، ولا تدرس من شعراء لا زالوا في بداية الطريق.

يبدأ الكتاب بدراسة التطور والتجديد كظاهرة إيجابية للحركة العلمية والأدبية تجسد حركة الحياة ونبض قلبها،وعنصر أساسي لكل زمن متحرك، قائمة على قاعدتين أساسيتين لا تتغيران على مر الأزمنة والتيارات. فالتراث والمعاصرة هما المؤثران المتحركان في فكر الإنسان وحضارته على مر العصور.ولشرح هذه المفاهيم وتتبع مسيرتها الحضارية المستمدة من التراث يسلط الضوء على بدايات التجديد في الشعر العربي بدءاً من البارودي وأحمد شوقي وأثرهما على الشعراء الذين جاءوا من بعدهما، مشيرا إلى محاولات المازني تقليد أدب الغرب موصلاً القارئ والمتتبع لتطور حركة التجديد في الشعر العربي إلى أثر الأدب الغربي،وأثر الواقع السياسي والاجتماعي للعالم العربي على رواد التجديد، منتقدا دعاة التجديد بتقليدهم الغرب من غير أن يفقهوا ما يريدون، مما أدى إلى ضياع الصلة الفنية بين القريحة الشعرية والموسيقى الأصلية والبنية الفنية معتمدين على الشكل السطحي والفكر المراهق.

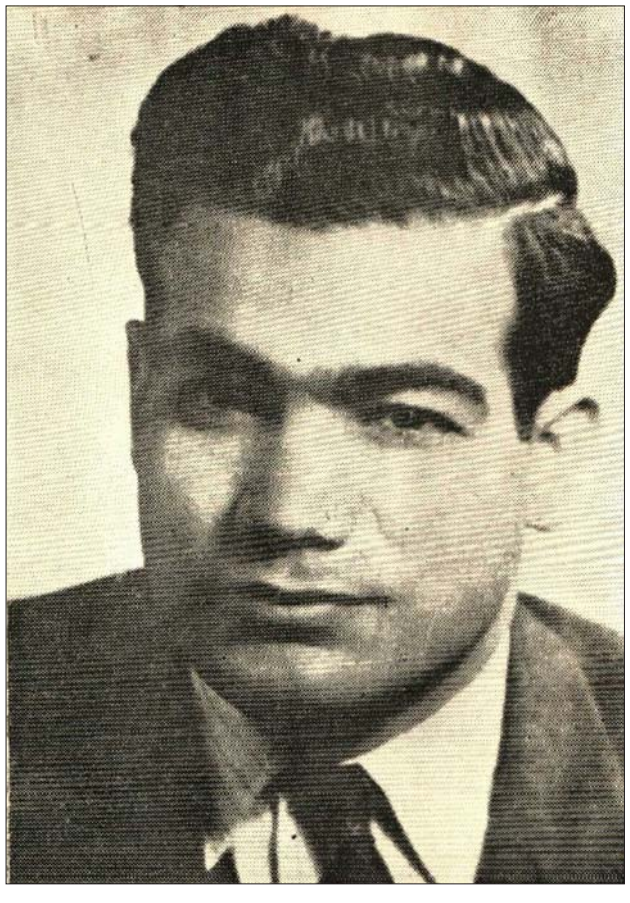

فعدم الوعي والفهم العميق للتراث الغربي والحضارة العربية ساق هؤلاء إلى فوضى في اللغة والابتعاد عن الأوزان العربية والتخلي عن القواعد الفنية للشعر العربي ومجانبة السمات الأدبية الجمالية للأدب.ويمضي الناقد في دراسة هذه الظواهر السلبية في المجتمع العربي،ليأتي بعد ذلك على دراسة مفاهيم الكلمات التي تحدد المصطلح الشعري مثل : -

- الشعر المرسل " وهو كما يذكر أول ما فكر فيه الزهاوي وشكري الفضلي في العراق وعبد الرحمن شكري والمازني في مصر وهو أقرب إلى الشعر الإنكليزي.
- الشعر المنثور " وهو الكلام الذي يفتقد إلى الأوزان الشعرية من موسيقى وقوافي"
- الشعر الحر "ويعتمد على التفعيلة العروضية وبصورة خاصة على الأوزان الصافية " وفيه يهتم رواده باللغة العربية والمعاني الجميلة والموسيقى الشعرية " ممن هؤلاء الرواد بدر شاكر السياب ونازك الملائكة والبياتي والقباني.

وأما أول قطر عربي بدأت به بوادر الشعر الحديث في العراق والتي وفق ما ينعتها المؤلف بالبلية حيث يقول " وقد بدأت البلية في أساليب الشعر عندما وصل الريحاني إلى العراق الذي عاش في أمريكا وأعجبه الشاعر الأمريكي" ولت وتمن " لأن شعره كان سهلاً وبلا قوافي " ص ١١٠. فانقلاب الريحاني من قواعد الشعر العربي وهروبه من الوزن والقافية دفعه إلى السجع واللفظ المؤثر بتأثير "وتمن " الضعيف اللغة والداعي إلى الحرية والوطنية بأسلوب ديني وعظي. ولسهولة نظم مثل هذا الشعر كثر الناظمين له في العراق ولكن لم يشتهر منهم ويستمر في النظم إلا القليل منهم. وفي هذا السياق يشير إلى أسماء عدد من هؤلاء الشعراء نافياً بالأدلة أي دعوة تشير إلى ظهورها في بلد آخر غير العراق.

فالعراق كما يعلل المؤلف له طبيعة متميزة، وله فكر منفرد في الاجتهاد،ومن طبع العراقيين الثورة والعنف وحب التبديل، فالكثير من المذاهب الأدبية والفكرية والنقدية ظهرت فيه كما نمت فيه الكثير من الأفكار الهدامة وطرق التصوف وتنوعت فيه التقاليد والمجتمع العراقي مجتمع التجديد والتطور والتحدي.

فالتجديد في الشعر كما يؤكد د عز الدين أول جذوره نبعت من العراق ونتيجة ضغوط نفسية وفكرية وثورة وجدانية عنيفة ويسوق على ذلك العديد من الأمثلة التي تجسد غضب شعراء التجديد مثل معانات بدر شاكر السياب ونازك الملائكة.

لقد أثر السياب والملائكة في تجديد الحركة الشعرية في الوطن العربي، وظهرت الدعوة إلى التطور عند عدد كبير من شعراء الوطن العربي فمنهم من كان يسير في هدي العمود الشعر العربي وزاوج بينهما ومنهم من ترك الأسلوب العربي وسار في التيار الجديد ومن الشعراء المجددين الذين يشير اليهم المؤلف عبد الوهاب البياتي وعبد الرزاق عبد الواحد وصلاح نيازي وشفيق الكمالي وراضي مهدي السعيد وعبد الجبار البصري وغيرهم ممن يشيد بذكرهم.وبعد هؤلاء ظهر جيل جديد تميز بالهبوط اللغوي في الأسلوب وفقدان الموسيقى ليصبوا الشعر العربي بكارثة موسيقية

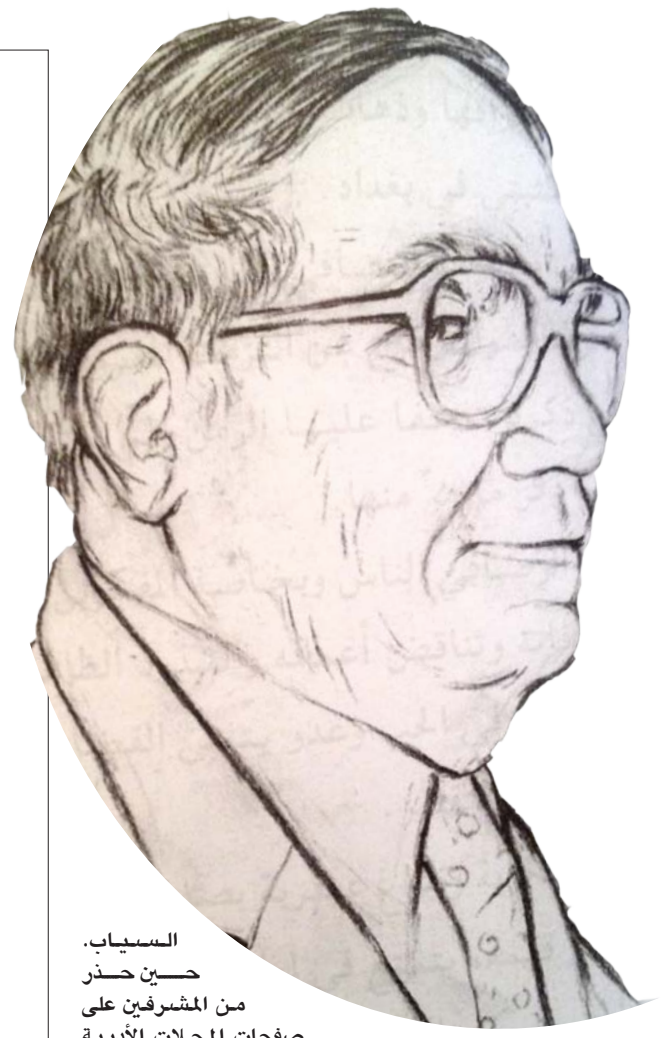

ولغوية شارك فيها النقاد ورؤساء التحرير بعدم مطالبتهم بالذوق الفني واللغة السليمة والموسيقى الشعرية،مستشهداً بقول الشاعر السياب. حين حذر من المشرفين على صفحات المجلات الأدبية في نشر الأدب الهش والذوق الهابط في الشعر " إن الذنب ليس ذنب الشاعر، بل ذنب الصحفي الذي ينشر له،والسبب أن بعض أخواننا الصحفيين ليست له المعرفة الكافية في أمور الشعر، وعليهم لتفادي ذلك أن يعهدوا بها إلى من يفهمه جيداً. وقبل أن يتناول مضامين الشعر الجديد التي يحصرها بالحرية والصور الجمالية ذات النغمة الموسيقية واللغة السليمة " يمضي د. عز الدين بتسليط الضوء على هذا الجانب المهم من تاريخ الشعر الحديث بتحليل تلك القصائد و قصائد الرواد التي جسدت رؤية شعرية متكاملة عكست معاناة وجراح الوطن.

أما مضامين الشعر الحديث فهي لا تختلف عن كل شعر يصور حياته المعاصرة ومجتمعه،ويكون صدى للأحداث التي تؤثر في الحياة العامة، والشاعر المبدع يجب أن تكون له سليقة فنية متميزة، وقابلية شعرية تُكّون الصور الجمالية بأسلوب جديد متميز،وأن يتمتع بالحرية وينبذ كل فكر مصنوع مستعار لا يفيد مجتمعه.وفي هذا السياق يستشهد بقول لنزار قباني عندما ذكر بيروت وسبب حبه لها فهي أعطته الحرية " أكتب ما أريد لم تحاسبني ولم تعاقبني... ولم تأخذني إلى محاكم التفتيش ولم تجبرني أن أكون شاعراً في خدمة السلطان... بيروت لأعطتني الحصانة كي أكون أقوى من السلطان.

يمضي الناقد بتسليط الضوء على مضامين الشعر الحديث مبيناً الظواهر المؤثرة في حياة الشاعر وأسباب الرفض والاحتجاج والثورة،ليأتي بعد ذلك على الرمز والغموض في لغة الشاعر ليتناول بعد ذلك الحداثة المعاصرة التي يضعها تحت عنوان " الحداثة المدمرة "عازياً إليها الفوضى والاختيار الشكلي للألفاظ وتشابه الأساليب.

قبل أن يختتم المؤلف كتابه يقف وقفة طويلة ووقفة إجلال أمام أحد رواد التجديد الشاعر نزار قباني ليحلل لغته الشعرية والمواضيع التي تناولها واستعماله أسلوب الفن القصصي.

يختتم الناقد د. عز الدين كتابه هذا بتناول الأساطير وتسرب الأسطورة إلى الشعر العربي بتقليدهم الغرب، فتأثير الشعراء بإليوت أو باوند أو ستويل وتقليد الأدب الغربي دون وعي عكس الأساطير اليونانية واللاتينية والمسيحية في شعرهم،غير أن ذلك من وجهة نظر الناقد يجب أن يخضع إلى عدة شروط يشير إليها في ص ٢٣٣ مشيراً إلى نجاح السياب في استخدام الأسطورة في شعره السياسي.

إجمالاً يمكننا القول بعد هذه المراجعة بأن المؤلف وهو الأديب والشاعر المتمرس قد قدم دراسة وافية عن الشعر الحديث وتتبع جذوره وحركة تطوره عبر الزمان والمكان،وأكد فيها على صدارة العراق في هذا المضمار كما حدد صفات الناقد وواجباته في بيان نقاط القوة والضعف في القصيدة.

الناشر : دار المدى – الطبعة الثانية

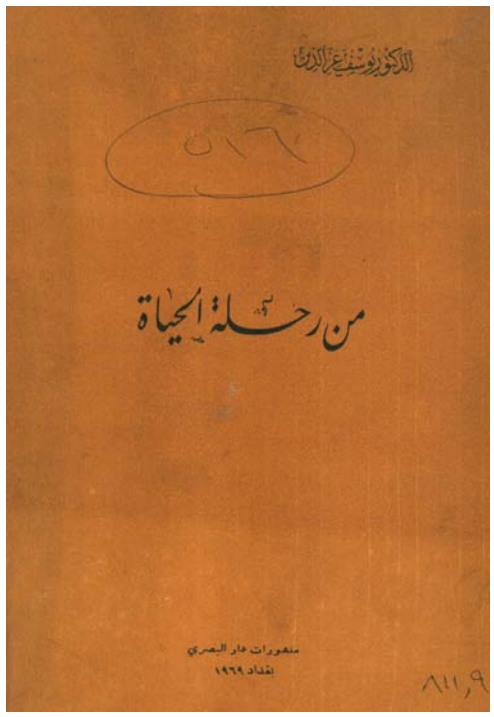

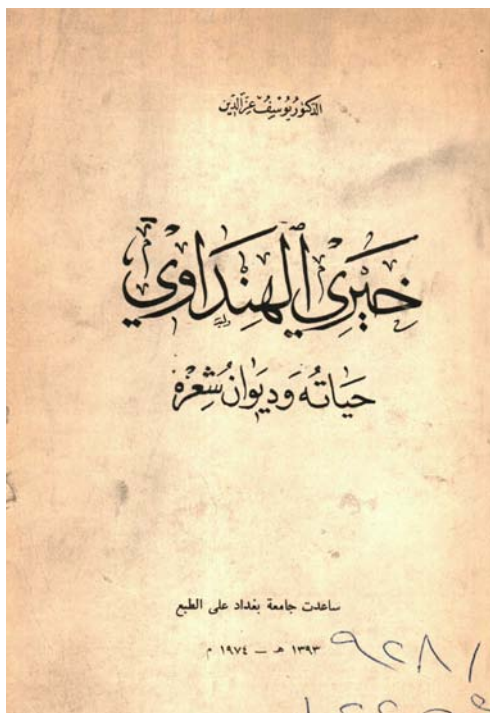

د. يوسف عز الدين.. أوجاع شاعر

السعيد مبارك
باحث سعودي

بـاديء ذي بدء عرفت هذا العالم المتأدب العـلامـة الدكـتـور يـوسـف عـز الـديـن و الروائي و المحاضر من خلال ثلاثة كتب مهمة له بعنوان (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر – الشعر العراقي الحديث – في الأدب العربي الحديث)
في أول الأمر قبل أن أعرفه شاعرا فذا.
ثم عرفته شاعرا بعد أن أطلعت علي كتاب أهدته لي الاستاذة الجليلة دكتوره عربية توفيق لازم من مكتبتها الزاخرة و لاسيما بأدباء العراق للدكتور داود سلوم عن شعراء العراق و قد اهداه اليها من اعماله فمنحتني اياه كي أقف علي حركة تطور الشعر في القطر العراقي بمثابة كشاف يزيل الاعجام و يثبت بعض مسيرة الادباء و الشعراء و المسرح و القصة –– و قرأت بعض المقطوعات له ضمن اعلام العراق المعاصرين – و من ثم رحت أقلب عنه شاعرا و ناقدا و روائيا و معجميا ،و تابعت ما يكتب عنه في المجلات العربية أيضا.
يعد العلامة الكبير الدكتور يوسف عز الدين علم من اعـلام الـعـراق في الفكر و الادب و الشعر و ناقد ذات رؤيـة بل مدرسة تجمع شتات المعرفة
و لم لا و هو أحـد حماة اللغة العربية في عصرنا المعاصر قدم الكثير و الكثير للمكتبة العـربـيـة مـن نفائس المؤلفات التي ترصد لنا حركة الابداع الفني علي الساحة العربية عبر العصور بين المشرق و المغرب
هذا هو الدكتور يوسف عز الدين –لمن لا يعرفه- واحد ممن يطلق عليهم "حماة اللغة العربية في عصرنا، فهو عضو بارز في مجامع اللغة في كل العلامة الكبير الدكتور يوسف عز الدين علم من اعلام العراق في الفكر و الادب و الشعر و ناقد ذات رؤية بل مدرسة تجمع شتات المعرفة
و لم لا و هو أحـد حماة اللغة العربية في عصرنا المعاصر قدم الكثير و الكثير للمكتبة العـربـيـة مـن نفائس المؤلفات التي ترصد لنا حركة الابداع الفني علي الساحة العربية عبر العصور بين المشرق و المغرب
هذا هو الدكتور يوسف عز الدين –لمن لا يعرفه- واحد ممن يطلق عليهم "حماة اللغة العربية في عصرنا، فهو عضو بارز في مجامع اللغة في كل من القاهرة ودمشق وعمان وتونس، وله أكثر من ستين كتاباً في اللغة والنقد والدراسات الأدبية المقارنة.
الدكتور يوسف عز الدين بن السيد أحمد (العراق) .
ولد عام ١٩٢٢ بقرية بعقوبة بالعراق .
حاصل على دبلوم دار المعلمين وليسانس وماجستير ودكتوراه في الآداب.
درّس في المدارس الابتدائية ثم في جامعة بغداد، وعمل عميداً للدراسات العليا ومديرا عاما للصحافة والإرشاد .
عضو المجمع العلمي العراقي، ومجامع القاهرة ودمشق والأردن والهند ، وعضو جمعية الأدب المقارن في كندا. دواوينه الشعرية : في ضمير الزمن ١٩٥٠ – ألحان ١٩٥٣ – لهاث الحياة ١٩٦٠ – من رحلة الحياة ١٩٦٩ – همسات حب مطوية ١٩٨٨ – أوجاع شاعر ١٩٩١ – شرب الملح ١٩٩٢ – النغم الحائر ١٩٩٢ – أيام ضاعت ١٩٩٢ – ليس يدري مصيره ١٩٩٣ –

يعد العلامة الكبير الدكتور يوسف عز الدين علم من اعـلام الـعـراق في الفكر و الادب و الشعر و ناقد ذات رؤية بل مدرسة تجمع شتات المعرفة
و لم لا و هو أحـد حماة اللغة العربية في عصرنا المعاصر قدم الكثير و الكثير للمكتبة العربية من نفائس المؤلفات التي ترصد لنا حركة الابداع الفني علي الساحة العربية عبر العصور بين المشرق والمغرب

صدى الطائف الحلوة ١٤١٣ هـ – رجع الصدى ١٩٩٤.

أعماله الإبداعية الأخرى : قلب على سفر (رواية) ١٩٧٨ – ثلاث عذارى (قصص قصيرة) ١٩٨٧ – النورس المهاجر (رواية) ١٩٩١.
مؤلفاته : تجاوزت الثلاثين منها : الشعر العراقي في القرن التاسع عشر – الشعر العراقي الحديث – في الأدب العربي الحديث – الرواية في العراق – القصة في العراق.
ممن كتبوا عنه داوود سلوم، وعبدالرزاق الهلالي، ويونس السامرائي، وسعدون الريس.
و نظرا لظروف العراق ظل يتنقل حتي استقر به المقام في الطائف – السعودية . فلا يعرف الفضل الا ذوي الفضل مكرمة لهذا القامة و القيمة في وطننا العربي الكبير
و قد عمر شاعرنا الي نيف و تسعين عاما حافلة بالبحث و العطاء في واحة الابداع كي يظل علامة بارزة و مضيئة في سجل الخالدين
و نعي وفاته ابنه الدكتور اسل يوسف عز الدين.
من شعره :
هذه مقطوعة بديعة من قصيدته التي بعنوان " ترنيمة الي زهراء " يجسد الحب و الجمال و الوجدان بين احضان الطبيعة مغنيا بالحسن حالما بدفء القلوب ناشرا عطره بين الدروب مغردا بين أفنان الازهار مستوحيا انطلاق الروح بين عوالمه الوثابة في روعة و طاقة شعرية متفردة يذكرنا بابن خفاجة الاندلسي فيقول :
ليته جاء بكورا ومع الفجر الحبيب
وأنا فوق سرير الفل من نسج حبيبي
مخمليً الدفء ما أجمله دفء القلوب!!
ونوافيريَ جذلى بين كأس وحبيب
كنت قارورة أشواق وإلهام وطيب
كنت للحب مروجاً عطرت كل الدروب
و في قصيدة " علي الدنوب " نهر العراق العظيم يقف مستخدما الاسطورة و الرمز كي يعيد ذكريا الامل و التاريخ القديم من بابل و سومر يرتشف الوجد في ليالي الرشيد و شهر زاد و امجاد الحضارة فيعزف حكايات علي ضفاف الرافدية و ضمير فيزف لنا مشاعره بين اوجاع شاعر عرف كل انواع المعارف و الثقافات العربية و العجمية فينهض صادحا –– " علـى الدانـــوب

قلت: لا تذهبي حبيبة روحي
ودعينا نحسو الكؤوس سويا
ودعيني أشكوك آلام قلبي
وحياتي وكل شيء لديا
كل أفراح صبوتي وهناها
وشبابي وما غدا مخفيا
قلت: أنت الحياة تسفح عطرا
وتغنت بكل لحن حبيب
فدعيني أذيب أسرار روحي
بلحوني وبالرفيق الطروب
كيف خلفتني وأفسدت دنيا
يَ وحلمي وزدت في تعذيبي؟!
كيف خلّفتني وحيداً
أداري بعدك المرَّ حائرا ولهانا؟!
كان قلبي يعيش في غبطة العمـ
ـرِ وريّاك هانئاً هيمانا

عن موقع الحوار المتمدن

بمناسبة بلوغ المفكر الموسوعي الدكتور يوسف عز الدين الثانية والتسعين من العمر نود الاحتفاء به وتكريمه في حياته. فالدكتور يوسف عز الدين الاستاذ والباحث المدقق هو أحد علماء اللغة والأدب والنقد في العراق، الذي شكّلت مساهماته ومحاضراته ومناقشاته ومؤلفاته العديدة اسهاما غنيا في رفد الحركة الفكرية والأدبية والنقدية في العراق والدول العربية. وتشهد بحوثه ومؤلفاته في الادب والنقد والشعر والقصة، التي تجاوزت الستين كتابا وبحثا، وما ألّف حوله من كتب ورسائل جامعية ،

يوسف عز الدين.. مسيرة حافلة بالعطاء

د. إبراهيم الحيدري

على موسوعيته واهتماماته المتنوعة في دراسة الظواهر والتيارات الفكرية والاجتماعية التي مر بها العراق والعالم العربي. ويظهر ذلك في تتبعه لمظاهر تاريخ الأدب الحديث في العراق منذ القرن التاسع عشر والوقوف عند أبرز المحطات الهامة فيه. كما انه أول من وضع دراسات نقدية لبدايات القصة في العراق تمتاز بعمق التحليل للحياة الاجتماعية والفكرية في العراق. وبذلك يمكن اعتباره من رواد الحداثة في العراق. فهو يرى بان من عوامل التجديد في الشعر الحديث هي عوامل نفسية ومشاعر ذاتية ومعاناة دفينة كما ظهرت عند بدر شاكر السياب ونازك الملائكة.

كما انه وقف وبقوة ضد الاتهامات الموجهة الى اللغة العربية والدعوات التي تنادي بتجديدها والتي تعتبرها غير صالحة لمواكبة العصر واكتساب العلوم والمعارف والتقنيات. فهو يرد عليهم بقوله، انها لغة الضاد، وهي اللغة التي وضعت بها أسس المعارف ونبغ بها علماء في شتى الامصار الاسلامية وابدعوا تراثا انسانيا رفيعا تمثل بكتاب نهج البلاغة وكتب الجاحظ والبيروني وابن المقفع وابن سينا وغيرهم. وهو من الأوائل الذين نبهوا الى أثر الفكر العربي في الفكر الغربي. فقد أثرت اللغة العربية على الشاعر الالماني الكبير غوته وعلى تينسون الانكليزي ودانتي الايطالي وجاك بيرك الفرنسي ، وهو دليل على ان اللغة العربية ليست صعبة الاستيعاب.

وساهم يوسف عز الدين في تطور الحياة الأدبية والفكرية في العراق والعالم العربي حيث كان عضوا في عدد من مجامع اللغة العربية. وكان الدكتور ناجي الاصيل رئيس المجمع العلمي العراقي قد اختاره سكرتيرا للمجمع العلمي العراقي. وقد سعى عز الدين منذ البداية لتطوير ادارة المجمع العلمي العراقي فقدم قانونا جديدا له بدل نظامه القديم الذي يضع المجمع العلمي تحت ادارة وزير المعارف. وحسب القانون الجديد اصبح للمجمع العلمي هيئة مستقلة اداريا وماليا ويمثله وزير التربية في مجلس الوزراء. ومن خدماته الجليلة قيامه بتوثيق الروابط العلمية بين المجمع العلمي العراقي والمجاميع العربية الاخرى في القاهرة ودمشق وغيرها أسوة بالمجمع العلمي المصري واختار عشرة من مفكري العالم ليكونوا اعضاء عاملين فيه ويتداولون أموره العلمية. كما فاوض الثري العراقي روبرت كولبنكيان واقنعه في بناء بناية جديدة للمجمع العلمي وتأثيثها باحدث الاثاث. وبعد مجيء حزب البعث الى السلطة عام ١٩٦٨ رفضت مقترحاته وربط المجمع العلمي العراقي بوزارة التعليم العالي واعطى للوزير صلاحية اختيار أعضائه واعضاء ادارته دون النظر الى المؤهلات العلمية العالية.

ولد يوسف عز الدين في مدينة بعقوبة عام ١٩٢٠. وبسبب الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي واكبت تأسيس الدولة العراقية الوليدة فقد عانى في طفولته وصباه مما مر على العراق من احداث وصراعات اجتماعية وعايش بدايات التحديث وولادة الاحزاب السياسية. يقول يوسف عز الدين وهو يتحدث عن نفسه، "انه لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب"، وكان عليه وهو طفل صغير ان ينتقل من مدينة الى اخرى من اجل اكمال دراسته الابتدائية. وقد تركت في نفس الصبي العصامي وعلى تكوينه الفكري والاجتماعي اثارا كبيرة انعكست في نقده للاوضاع الاجتماعية والثقافية وفي معظم كتاباته. وخلال عمله في التعليم في مدينة بعقوبة لاحظ معاناة الفلاح العراقي وشظف العيش في الريف ودفعه ذلك الى تأليف مسرحية شعرية تناول فيها معاناة الفلاحين الفقراء وصراعهم مع الاقطاع الذي استغل جهدهم واستلب حقوقهم في اسلوب ادبي رقيق ولغة سردية جميلة. كل ذلك جعل من يوسف عز الدين كاتبا وشاعرا وقاصا يرفع الظلم والحيف عن ابناء شعبه ويحافظ على استقلالية فكرية جعلت انتماءه وولاءه للوطن فقط وكونت منه استاذا وكاتبا وناقدا نزيها ومحايدا . وفلسفة يوسف عز الدين في الحياة هي حب الناس، كل الناس لأن "المؤمن من أحب لأخيه ما أحب لنفسه"، فلا فرق بين الناس، والانسانية واحدة. وهو يغفر لمن أساء اليه، والمغفرة أسمى معاني التسامح. كما يقول بأن "الحب قوة وانفتاح وتواصل واتحاد وتقبل".

رفد يوسف عز الدين المكتبة العربية بعدد كبير من المؤلفات القيمة نذكر منها :-

- الشعر العراقي- اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، دار المعارف،القاهرة ١٩٥٧
- الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠
- خيري الهنداوي- حياته وديوان شعره، القاهرة ١٩٦٥
- داود باشا ونهاية المماليك في مصر، بغداد ١٩٦٧
- شعراء العراق في القرن العشرين، جامعة بغداد ١٩٦٩
- الرواية في العراق: تطورها وأثر الفكر فيها، القاهرة ١٩٧٣
- القصة في العراق: جذورها وتطورها، القاهرة ١٩٧٤
- الرصافي يروي سيرة حياته/ دار المدى، بغداد ٢٠٠٤
- مع روايتين ومجموعات قصصية ودواوين شعرية عديدة.

تعرفت على استاذنا يوسف عز الدين عندما كنت طالبا في كلية الاداب بجامعة بغداد في بداية الستينات، مثلما تعرفت علية عندما اكملت دراستي العالية في علم الاجتماع في المانيا وعدت للعمل في نفس الكلية واصبحت زميلا له. وبعد سنوات طويلة إلتقيته في ديوان الكوفة بلندن في نهاية التسعينات قادما من ويلز. ومنذ ذلك الوقت توطدت علاقة متينة بيننا، فكان كلما يأتي الى لندن من مقر اقامته في ويلز نجتمع معه، نحن الشلة الصغيرة من مريديه وأصدقائه، أما في الفندق الذي ينزل فيه او في مقهى وايت ليز في كوينزوي بلندن، نقضي معه ساعات ممتعة ونحن نستمع الى احاديثه المطرزة بابيات من الشعر والطرائف الادبية والنكات الشيقة او عن ذكرياته الجميلة في جامعة الاسكندرية بمصر او جامعة لندن وغيرها.

ومنذ سنوات قليلة افتقدنا حضوره في لندن واماسيه الممتعة، فهو الان جليس داره فلا تسمح له صحته وشيخوخته بالخروج من البيت. ومع ذلك فعندما اتحدث معه بالتلفون اشعر بان استاذنا الوقور ما زال ذو ذاكرة قوية، فهو لا ينسى اصدقائه ومريديه وما زالت أريحيته تقدح بطرائف ممتعة. تمنياتنا له بالصحة والعافية وطول العمر

تكريمه في جامعة الطائف

المرحوم الدكتور يوسف عز الدين العلامة

و الأنسان

اعداد: عامر هشام الصفار

عقدت الجمعية العربية للثقافة في ويلز لقاءها الثقافي الدوري لعام ٢٠١٣ وذلك في يوم السبت المصادف السابع والعشرين من شهر نيسان/ أبريل. وقد خصّص اللقاء لتأبين المرحوم العلاّمة الدكتور يوسف عزالدين الذي توفاه الله في الثامن من نيسان /أبريل ٢٠١٣ وذلك في غرب مقاطعة ويلز في بريطانيا.
وقد فصّل البرنامج الثقافي للقاء بالمنجز الثقافي والفكري لفقيد الثقافة والأدب والفكر يوسف عزالدين من خلال كلمات وشهادات وقصائد المشاركين. وقد أوضح كاتب السطور، رئيس الجمعية العربية للثقافة في ويلز، بعد أن فصّل بايجازفي سيرة حياة الفقيد عزالدين، أوضح النهج البحثي الأدبي الذي أتبعّه الدكتور يوسف عزالدين من خلال مؤلفاته ودراساته وبحوثه ومحاضراته وهو الذي ألّف العشرات من الكتب ونشر العديد من البحوث في الأدب والثقافة أضافة الى فعله الأبداعي قصيدا أو سردا.
وقد حدّد عامر الصفّار صفات للفقيد وجدها مما أتصّفت بها شخصيته وهو صاحب المكانة المعروفة في الوسط الأدبي والثقافي العربي:
١.فقد كان الدكتور يوسف عزالدين صاحب نهج ومدرسة في البحث الأدبي تقوم على المعلومة وتحليلها وأستكناه معانيها والتأكد منها ومن مصادرها. وهو يذهب في ذلك كل مذهب بحثا عن مصادر معلوماته. وهكذا تجد كتبه بالذات وقد احتوت خير المصادر توثيقا لشؤون الشعر العراقي القديم والحديث أضافة الى شؤون القصة القصيرة في العراق وشؤون الفكر والتراث. ولعل قائمة كتبه المنشورة من خلال دور النشر العراقية والعربية تدل على مدى الأهتمام الأدبي والثقافي أضافة الى غزارة الأنتاج ونوع المواهب. فمن كتبه كأمثلة تقرأ: الشعر العراقي في القرن التاسع عشر: خصائصه وأهدافه، الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والأجتماعية، في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) ، الأشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب العربي الحديث، شعراء العراق في القرن العشرين، الرواية في العراق: تطورها وأثر الفكر فيها، تطور الفكر الحديث في العراق، الشعر السياسي الحديث في العراق، الحركة الفكرية

في العراق، قضايا من الفكر العربي وغير ذلك.

٢. لقد عني المرحوم يوسف عزالدين بأتباع المنهج النفسي في تحليل النتاج الأدبي. وهو في ذلك كان صاحب قول ورأي يقول به ويسنده بالشواهد والأدلّة من سرد أو قصيد مما جاء على لسان أصحابه ومن مصادر موثوقة. ففي كتابه الشعر السياسي الحديث في العراق يستخلص عزالدين أن الهدوء ليس من طبع أهل العراق..أنما الحدّة والثورة، والقوة أبرز مظاهر طباعهم وعاداتهم. يقول عبد الحسين الأزري:

هذا العراق وكان في
زمن من الأزمان بحرا
سنن الوراثة كوّنت
في طبعه مدأ وجزرا
متقلّب كرياحه
ما بين آونة وأخرى
متحّول كالرمل لا
تدع الرياح له مقرا
كالشوك يسرع في اللهيب
فأن خبا لم يبق جمرا

٣.وقد كان المرحوم يوسف عزالدين عائليا بمعنى أنه رجل عائلة يهتم بشؤون الأسرة والأولاد ويحرص على غرز روح الأجتهاد والمتابعة عندهم. أضافة الى كونه من المربين المتميزين من خلال دوره التربوي أستاذا في التعليم الجامعي الأولي والدراسات العليا وفي العديد من الجامعات العراقية والعربية وفي المجمع العلمي العراقي. وفي هذا كلّه كان الرجل الفقيد اجتماعيا صاحب معشر ومجلس، فلم تخلو مجالس الأدب والثقافة من أشعاره ومحاضراته وتعليقاته المهمة.

وقد تميّزت أمسية الجمعية العربية للثقافة في ويلز بأن حضرها نيابة عن عائلة المرحوم يوسف عزالدين ولده البكر أسل الطبيب الجرّاح والذي أبى نيابة عن العائلة الا ان يشارك الجمعية وأعضاءها ومتابعيها أمسيتهم بأن يقدّم مجموعة من اللقاءات المسجلة الفيدوية مع والده وهو على فراش المرض في ويلز يبدي فيها اراءه في شؤون الحياة، اضافة الى مقطع فيديو يعرضه وهو يقرأ قصيدته العصماء في حفل تكريمي له في المملكة العربية السعودية حيث كان يعمل في جامعاتها.

وكان أن شارك الأستاذ الفاضل قاسم عزالدين أخ الفقيد الجلسة الثقافية التأبينية بقصيدة عينية رثاءا لأخيه جاء فيها:

أتى نعيٌ فطرت به شَعَاعَا
وهل جزعٌ يُعيد لنا مضاعا
تعاودني الهواجس كلَّ يوم
وهل أقوى على همٍّ صراعاً
يعيش المرء ما استحلى حياةً
وموتٌ لا يُطيق لـه دفاعا
ولو دفع النوائب مستطاعٌ
لما نزلت بساحتنا تباعا
ولو ذرفُ الدموع يُعَيد ميتاً
لأغرقنا المهامهَ والبقاعا
وإن ألوت بنا غِيَرُ الليالي
سجيسَ الدهر وانثالت قراعا
فهذا الحكم للبَاري قضاءً
وما يقضي الإلهُ لنا مُطاعا
وما بُعْدُ المنازل من حبيب
ليمنعَ ان أقولَ له: وداعًا
أبا أسل وأنت سليلُ بيت
كريم الأصل لم تَخْبُثْ طِباعا
وأنتَ وريثُ غرس من فروع
لآل محمد طابتْ رضاعا
عبدتَ الواحدَ القهّارَ حقّاً
ولم تَعْبُدْ يَغُوثًا او سُواعا
وما مالأتَ في دنياك خبّاً
لئيماً يرتجي منك انتفاعا
أبيتَ على الطغاة الظلمَ حتى
رحلتَ ولم تَكُنْ خَنِعًا يَرَاعا
وكم ساموك أنْ تَدَعَ العوادي
فلمْ تَمْدُدْ لهمْ ذُلاً ذراعا
فأنت الطود في الآداب تسمو
وهمْ شَرُّ البُغَاث إذا تداعى
جزاك الله عنّا كلَّ خير
وداعاً يا أبا أسل وداعًا

كما ألقى شاعر وِيلز الأستاذ أحمد لطيف قصيدة بالمناسبة جاء فيها:

الموت حكم في البرية سرمد
يغزو الأنام ويستمر المشهد
والكل نحو خطاه يسرع غافلا
لينام في قاع اللحود ويرقد
نمضي ونترك خلفنا عبرا لنا
تبقى مصاديقا لقوم ترشد
فأذا أنتهت عبر الحياة وفتت
سيكون في ذكر الممات المقصد
نجح الذي وهب الحياة لعلمه
سينام تحت ثراه وهو مخلّد
نعم الأبوة ما بناها يوسف
فيها المحاسن عزّة وتودّد
أنتم أبا أسل ورثتم طيبة
فنحلتها أرثا لمن هو يشهد

وفي ختام الأمسية عرض الأستاذ الجليل الدكتور عبد الرضا عليّ

شهادته بشأن أستاذه الفقيد يوسف عزالدين حيث كان عليّ قد درس على يدي الدكتور عزالدين في دراساته العليا في مصر العربية وجامعاتها في السبعينيات من قرننا الماضي، وقد جاء في الشهادة ما يلي:

"وإذا كانت السنة الأولى قد مرّت بسلام، فإننا كنّا في أشدّ الخوف في السنة الثانية من درس الكتاب القديم الذي كان يدرّسه العَلامة المرحومُ يوسُف عزّ الدين، فقد علمنا ونحنُ في السنة الأولى أنه يشترط على الطالب حفظَ ثلاثين صفحة من الكتاب القديم الذي يتمّ اختياره، ويكون الامتحان في تلك الصفحات شفويّاً أمام الطلاب، فبعدَ أن يتسلّم الأستاذ من الطالب أوراقه المستنسخة بخطّه من كتاب " العمدة " لابن رشيق القيرواني، أو " الكامل" للمبرّد، يختار له الصفحة التي عليه أن يبدأ منها، وحين يتأكّد من أنّ استظهاره كان جيّداً، يبدأ بتوجيه أسئلته المتعلّقة بالإعراب، والشرح، وتقطيع الأبيات الشعريّة، وما إليها من أمور معرفيّة.

كان أستاذي عزّ الدين في العام ١٩٧٤ م، دؤوباً ، سواء أكان في التدريس، أم في التأليف، أم في القراءة، وكان يستعينُ بطبّاعٍ متمرّس(كاتب طابعة مجيد) يلازمه في شقته الكائنة في حيّ الزمالك، يدفعُ إليه مسوّدات ما يكتبه يوميّاً،وعندما ينجزُ الطبّاعُ عمله يسلّمه إلى شخص آخر يقوم بمراجعة المطبوع، وهذا المراجعُ كانَ أشبهَ بالسكرتير الشخصي، وهو المسؤول عن إدارة المكتب او الشقّة أو ورشة العمل(سمّها ما شئت) فضلاً عن قيامه بخدمة الأستاذ، وتلبية احتياجاته التسويقيّة، والإجابة على هواتف المتّصلين من الأصدقاء، والطلبة ؛ وفي تلك الورشة تمّ إنجاز كتابه الموسوم بـ " القصّة في العراق جذورها وتطوّرها" وقد نشره له معهد البحوث في العام نفسه.

كان لي ولزميلي المرحوم مزاحم أحمد البلداوي شرف زيارته مرارا في هذه الورشة/ الشقّة، فأكبرنا فيه ذلك الدأبَ في البحث والتقصّي وتهيئة المحاضرات، لكنه كان يجد في عمله ذاكَ متعةَ العالم التي تفضي إلى منفعة الناس، وكأنّه أرادَ إشعارَنا بأهميّة الزمن، وضرورة الإفادة من الوقت الذي كان متاحا لنا آنذاك".

وقد دعت الجمعية العربية للثقافة في ويلز المراكز الجامعية العراقية والعربية للأحتفاء بالعلّامة المرحوم يوسف عزالدين وذلك بتخصيص قاعات محاضرات بأسمه وتخصيص أمسيات ثقافية تناقش منجزه الأبداعي والثقافي والفكري وتستنتج منه الدروس والعبر خدمة لأجيال المستقبل.

كان الدكتور يوسف عزالدين صاحب نهج ومدرسة في البحث الأدبي تقوم على المعلومة وتحليلها وأستكناه معانيها والتأكد منها ومن مصادرها. وهو يذهب في ذلك كلّ مذهب بحثا عن مصادر معلوماته. وهكذا تجد كتبه بالذات وقد احتوت خير المصادر توثيقا لشؤون الشعر العراقي القديم والحديث أضافة الى شؤون القصة القصيرة في العراق وشؤون الفكر والتراث.

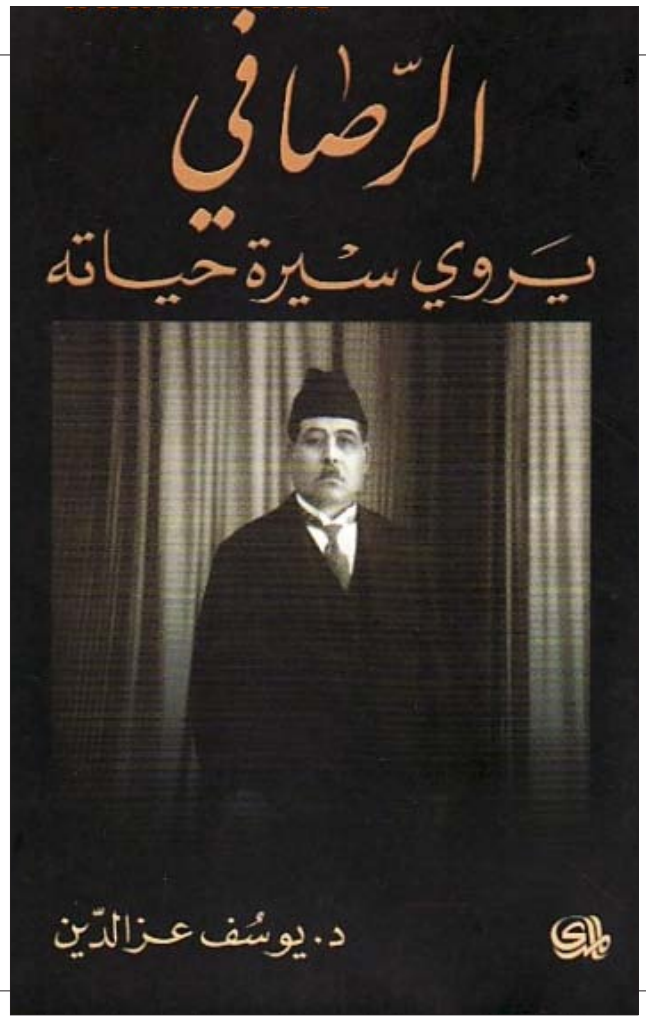

يوسف عز الدين بقلمه

يوسف عز الدين

ولدت في بعقوبة من ابوين عربيين، في دار لها ماض عريق في النسب، ودائر من النشب، لم تبق الايام منهما غير اطياف الاحلام تملأ النفس بالكبرياء والاباء وعزة النفس فقد استحال حاضرها الى ضربة بكل الجديدين ووفرة البنين.

وكان والدي رحمه الله ضابطا في الجيش العثمانٍي تمرس باهوال الحروب وثلوج القفقاس وآب الى وطنه ولم يسر في ركب الحاكمين "الكفار" وابى ان يتسلم منهم وظيفة وعمل حراً في سوق بعقوبة وسرعان ما استصفي ماله وسيق الى السجن واصابته حراب الكواركة فيه ولولا عناية الله لما خرج حيا منه.

وخرج من السجن معتزاً بكرامته فبذل جهده ليذود عن اسرته براثن الفقر وصرف ما كان ادخره فاضطر الى الاستخدام في الدولة بأجر تافه ضئيل.

وامي – اطال الله عمرها – مثل نساء عصرها بذلت كل طاقاتها وجهودها في دفع المسغبة عنا بصبر وجلد وهي ذكية واسعة الأفق قوية الذاكرة لا يتسرب اليها نسيان الحوادث.

واصل اسرتنا من سامراء تركتها بعد معركة دموية يعرفها ابناء سامراء بقي صداها يرن في نفوس الاسرة جيلا بعد جيل.

وقد وجدت اسرتي بحاجة الى عوني، فدفعتني النخوة الى الكفاح ومجالدة الحياة لأعين هذه الاسرة من رهف هدها وفقر اضر بها فدخلت دار المعلمين الابتدائية.

وكنت اطالع كتب الادب كثيرا من منظوم ومنثور فاتلمس اوجاع الشعب واحس بانين المحتاجين وصرخات الجياع وتفرق الامة العربية ووقع سوط الاستعمار في ظهرها فاردت ان اشارك في خدمة هذه الأمة فكانت اول قصيدة لي في (فلسطين) واول مسرحية شعرية لي هي "الوفاء" شرحت فيها حال الفلاح العراقي وبيئة الفقر في الريف.

وشاركت في تأليف جمعية سرية اسميناها (الوحدة العربية) ساقنا تأليفها الى المجلس العرفي العسكري، فتقصفت آمالنا وتفرقت عصبتنا المراهقة ذات الامال الواسعة.

واول بيت نظمته كان في العلم العراقي وكنت قراته لمدرس اللغة العربية في متوسطة بعقوبة فأهانني من جرائه لانني بداته بكلمة (ايه) التي كنت اعبر بها عن شدة المي وعمق همي وقال لي (لن يكون لك شأن في الحياة) ومن الطريف ان يأتي هذا المتنبيء بعد سنوات طوال في مهرجان الكندي ببغداد سنة ١٩٦٢ من بلده النائي ليعرض علي مقالة له قائلا (لم اجد من اعتمد عليه في العراق سواك) (كذا) والح علي بان ابدي رأيي في مقالته ليرتاح ويطمئن قبل ارسالها الى اللجنة.

نشات في جيل داكن غابر جر وراءه بغض الاستعمار الذي خيم على بلدنا فرأى كوالح الايام وسود الحوادث فكان عصرنا عصرا مجروح الكرامة يرعف الما من نكبات حاضرنا وينتزي ثورة على الدخيل.

ما ارتويت من حنان الابوين اذ كنت ابتعد عنهما لاكمال دراستي طفلا، ولم اقض معهما غير سنين محدودة، كنت اركض وراءهما في قرى ديالى فعشت مضطرب الروح.

نموت وانا اعتمد على نفسي كل الاعتماد منذ سني الثامنة، وفيها علمت معنى الالم وفهمت الهموم والاحزان، فقد عشت مع اقرب اقربائي ولكنهم ما شملوني بعطف وما اسبغوا علي الحنان الذي يحتاج اليه طفل في سني، وقد صنعت تاريخ حياتي بيدي كدا، وحفرت مستقبلي في الصخور دون عون من قريب او مساعفة من صديق وانا اشعر بالرضا والغبطة لاني لم اترك انسانا يمن علي ماديا او معنويا، سوى اساتذة العلم وقادة الادب والفكر ورعاية والدي – رحمه الله – وحبه لي الحب الذي لم اعوض عنه، وما ازال احس بالحنين اليه ماكرت الايام وطال علي الامد.

كان والدي يملأ قلبي بالعطف ويسبغ علي الحنان فقد كان مثالا للطيبة والصلاح والتقوى وحب الخير، ومنه تعلمت موسيقى الشعر فقد كان يحفظ من شعر البادية والعنايا ويسمعني نماذج مختلفة عندما نخرج على ظهور خيولنا في القرى والمزارع.

اول قراءتي كانت المغازي التي غزاها الامام علي بن ابي طالب فقد كانت تملأ قلبي بالرضا ويطفح بالغبطة والفخر والحماسة، ولعل احساسي بواشجة النسب او الدين ربطتني بحيدرة الكرار وشجاعته ، ثم قرأت عنترة وحروبه حتى استفدت كتب الحروب والمغازي الموجودة في المكتبة،.

والقراءة المستمرة صرفتني عن عبث الاطفال ولهوهم، فما تمتعت بما تمتع به الصحب، فقد كنت اخشى اتون مباهاتهم وتعاليهم لشعوري بوحدتي.

فلا عجب ان عشت وحيد النفس تائه الروح اعيش في بيداء من القلق والضياع ولولا القراءة وسعة امالي لتحولت الى انطوائي سوداوي.

وقد ساعدني الموروث الديني والنشأة في المسجد والصلاة والصيام وقراءة سيرة السلف الصالح قوة على الجلاد، وعلى صفاء نفسي، فقد نفت عنها اوضارها، وطهرت اوشابها فكنت كثير الصلاة انتسبت بها كل ما ألم بي خطب، لاخلص من حياتي الحيرى وواقعي المضطرب، لان حياتي لم تكن تساعفني بمطالبي الروحية طفلا وما ملأت فراغ وجداني مراهقا، وطالبا للعلم.

وقد جرح وجداني في دور المراهقة فزاد الجرح في غربة روحية وضياع وجداني ودخلت متاهة الضليل في بيداء الفاقة الروحية الواسعة باحثا عن نسمات حنان واطياف عطف لأسد بها جوع الروح وسغب الاحساس.

عشت في افكار الفرسان طموحا ثائرا ، وسارت دراستي اعتيادية ولم اكن متخلفا، وحدثني احد اترابي من سني الاولى والثاني من الابتدائية بانني كنت احصل على اكثر الجوائز وما زال يذكر غيرته مني، ورغم بعدي عن والدي خلال دراستي فقد حافظت على النجاح رغم ما كنت اعانيه من الفراغ الروحي وكنت الثاني على صفي في الدراسة الابتدائية والثالث على لواء ديالى.

كانت اول مظلمة تجرعتها صابا وعلقما من مدير معارف في ديالى، فقد نبذني بعيدا عن اسرتي بعد ان وافق على تعييني قريبا منها لأن احد اصحاب النفوذ شاء ان يأخذ المكان الذي اردته فاستجاب المدير لمشيئته وسرعان ما قلب لي ظهر المجن عند دخول المتنفذ عليه فجرح كبريائي وحطم عزتي وزعزع ثقتي برؤسائي فخرجت من حجرته اجرر رجالي يأسا والما وتابعت دراستي للادب القديم والحديث وكثر محفوظي منهما لن القراءة والانكباب على الدراسة بعيدا عن اوضار حياتنا خلقنا مني انسانا جديدا تميز عن اخوانه المعلمين بالشعر والكتابة فوجدت نفسي اكبر

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
عدنان حسين
نائب رئيس التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

من عملي وساعدت البيئة على بروزي وظهوري شاعرا وخطيبا.
ما كنت اقدر على اكمال دراستي وانا معلم محدود الدخل فكرهت الحياة وكرهت يومي وبرمت بحاضري فقد كان مركزي الاجتماعي ونظرة المجتمع الي رغم ما انا فيه لا يملآن روحي رضا او يسعدانها.
واتاني الفرج عندما تسنم وزارة المعارف صادق البصام فقد كان له صلة قربى في بلدتي بعقوبا، وبسبب ذلك، ومن اجل مكاسب سياسية كان يطمح اليها، وافق على منحي اجازة دراسية مع اثنين معي من بعقوبا، بعد ان رفض الوزير الذي قبله منحي ومنح زميلي الاجازة.
فذهبنا نحن الثلاثة الى كلية الاداب في الاسكندرية للحصول على الشهادة المفتاح الذي يفتح للانسان الابواب المغلقة ويبدل عبوس الناس وجفاءهم الى ابتسام وترحيب، وبالشهادة اعدت لنفسي كرامتها ولروحي الرضا رغم اتون المعارضة الذي ثار من جميع جوانب حياتي فنحن نعيش في مجتمع برجوازي لا مكان لنا به الا بالمال او الجاه الموروث.
وقد كنت اتمنى ان ادخل كلية الحقوق التي كنت احسبها طريقا للدفاع عن ابناء الشعب المظلوم لاقوم بجزء من امالي في الذود عن الفقير والمحتاج والمعوز لكن الانظمة دفعتني الى الاداب.
وصلت الى مصر في شهر شباط ١٩٤٦ ولم تبق من الدراسة غير شهور محدودة ويأتي الامتحان فضج الصحب واكدوا اخفاقي، غير ان السنة مرت بسلام لان الخوف من الخيبة دفعني الى النجاح المتوالي والتفوق الذي ما كنت اتصوره ثم حصلت على جائزة التفوق الرمزية عندما تخرجت ووشحت شهادتي بعبارة (الشرف) مطمح الدارسين وامنية الطلاب.
واعادت لي مصر ثقتي واعتزازي بكرامتي، وكنت موضع ثقة اساتذتي وتقدير الكلية وهناك انشات مع جماعة من الطلاب العرب في الكلية جمعية وسمت منزلتي وسرى الاطمئنان بين اعطافي وترنحت روحي لما اختارني استاذي محمد خلف الله طالبا لدراسة الماجستير. وركز هذا الاستاذ ثقتي بنفسي وسدد خطاي وانعم علي بتوجيهه وارشاده. وأتيت الى بغداد مزهوا بالماجستير وبكلمة الشرف التي حصلت عليها ارغب في تعييني في احدى الكليات فقوبلت بجفاء وخشونة فاداني الى ثورة مكبوتة ونقمة شديدة وشعرت باني وحيد لا نصير لي ولا سند. وكان التحدي وكانت اجازة دراسية اخرى انفع بمالها علي فما امشي لأوفر القرش الصاغ ولا احاسب نفسي على الملاليم التي اصرفها وكانت لندن مثابة السفر ومنتجع الشهادة التي كان يتباهى بها المتخرجون انينها متحديا وراغبا وخائفا مبتعدا عن وطني فقلت:

وما عن هوى قد جئت لندن طالبا
ولكن قومي يستزيدون في الذكر
يقولون فيها كل ما يطلب الفتى
من العلم والعرفان والفضل والفخر
ومن جاء منها (بالشهادة) ظافرا
هو العلم الهادي ولو جاء بالكفر
ولو انصفوني في بلادي لما رأت
عيوني هاتيك البقاع مدى الدهر

كانت كراهيتي للاستعمار مرتبطة بلغته لذلك رغم تخرجي في كلية الاداب لم اشعر بلذة في تعلم لغته فانصرفت بعد عودتي من مصر الى اللغة الفرنسية ادرس منها ما فاتني دراسته في مصر واركز عليها فشعرت بانني استطيع التحدث بها.
ولما سافرت الى لندن استفدت كثيرا منها ومن التركية التي دراستها في مصر وافدت منهما في استانبول وباريس.
ولما وصلت الى لندن وقابلت استاذي المرحوم الفردكيوم حولني على استاذ مساعد له فطلب مني ان ابقى سنة احضر فيها امتحان تعادل الليسانس، ولم تفد كلمات الاحتجاج والايضاح التي اخبرته بها ياتي حصلت على الماجستير واريد الدكتوراه.
كان علي ان ادرس اللغة الانكليزية من جديد واستحضر تلك الدراسات التي درستها في المدارس والجامعة وانغمرت في دراستها وسرعان ما وجدت نفسي اخب فيهما، واسرع تحدثا، وارضي المدرسين كتابة.
وعندما كنت اقارن بين اللغة العربية والانكليزية عندي تهتز ثقتي بنفسي فاكب ليل نهار واكثر من الدراسة فكانت اللغة شغلي الشاغل، وقد ساعدت البيئة الانكليزية على سرعة تعلمي لها.
وبعد ثلاثة اشهر طلب استاذي مني ان اكتب مقالا في الادب العربي باللغة الانكليزية وبعد اسبوع جاءتني رسالة تخبرني باني سجلت في الماجستير واعفيت من امتحان المعادلة ولكني لم اترك دراسة اللغة بل زاد تعلقي بالادب واخذت اتذوق الادب الانكليزي واصرف له من وقتي جانبا الزمت نفسي به واقتنع استاذي بعملي فحولت الى الدكتوراه بعد ستة اشهر فاحببت البقاء في لندن وشعرت بغرور ولكن سرعان ما فكرت في المصير الذي ساصير اليه من جراء هذا الغرور فكبحت جناحي وعملت حتى انتهيت من الدكتوراه ورفضت ان اعمل في الجامعة التي تخرجت فيها، واخذ برد العلم ينساب الى روحي وهدأ وجداني الى البحث واستراحت روحي الظمأى الى البحث والتدقيق والتأليف وبذلك نزل الربان الهولندي الى الساحل.
وعدت الى بغداد وطلبتني الكليات التي كانت رفضتني متخرجا في جامعة مصرية، فاثرت كلية الاداب وعملت فيها معاونا للعميد واحببت عملي كل الحب، وانتجت وانصرفت الى الانتاج، ولولا الصراع المرير من اجل لقمة العيش والمحافظة على المظهر ازداد انتاجي وسرعان ما تركت العمل الاداري بعد ان وجدت نفسي مفيدا بامور لا يمكنني ان امارس حلها وكرسيا لا اقدر على التخلص من سيطرته وسحره.
وطلب مني المرحوم الدكتور ناجي الاصيل ان اكون امين المجمع العلمي العراقي الذي ما فرطت به رغم ما عرض علي من مناصب يتحلب لها اشداق الطامعين!.
وعندما دعاني الاصيل رحمه الله لم يجد في نفسي اندفاعا لاني وجدت من هم اسبق مني في العمل واخرى به، وكانوا يتزاحمون عليه بالمناكب وشرفت بعضوية المجمع وامانته العامة منذ سن قانونه ولكني لم افارق محاضراتي في كلية الاداب التي احببتها واحببت فيها عملي الجامعي.
ما بخلت على نفسي بالدراسة فلم اقف عند القرآن الكريم فقد درست الانجيل والتوراة وتعرفت على مذاهب ونحل وفروع متباينة واتاحت لي فرصة السفر الدراسة المنظمة للانظمة الاشتراكية واراء قادة الرأي مثل ماركس وانكلز ولنين وماوتسي تونك، كما درست اراء الاشتراكيين الغربيين فخرجت بنتيجة واحدة هي ان يكون الانسان عادلا بعيدا عن الاثرة يحب لنفسه ما يحب لاخيه.
انا احب الناس وما دخل قلبي بغض لأحد منهم لا يعاني بان الحب يغير كثيرا من النفوس الخيرة التي غيرتها المصائب.
احاول ان اعوض بحبي للناس وخدمتهم ما فقدته من حنان المجتمع وبر الحياة وما كرهت شيئا في حياتي لأن الكراهية مرض يفتك بالنفوس ولا يحمل الحقد من تغلو به الرتب.
وقد جنيت ثمرة هذا الحب في حياتي في اصدقائي الكثيرين ومعارفي الذين لا احصيهم عددا فانا اترك في كل بقعة من بقاع العالم بصمة من بصمات قلبي واثرا من آثار وجداني تتحدث بالحب وتطفح بالشوق وقد خلقني الله الوفا ففي الهند والصين وموسكو وطاشقند وكندا والمانيا وانكلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والقاهرة واثينا وصوفيا اجد الاحباء والاصدقاء وهذه ثروة لا يعد لها المال، ولا يعوض عنها النشب، ولا يعرف حلاوتها الا القليل.
وقد شرفتني جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين بانتخابات متتالية بامانة الجمعية لسنوات ومنحت هذه السنة (١٩٦٩) شرف الرياسة.
ما تأثرت باديب او شاعر انما كنت اتأثر بقصائد او اثار من الرصافي والمتنبي والجاحظ وعمر ابي ريشة والصافي النجفي والشبيبي الكبير والاخطل الصغير وشوقي والبارودي واوثرهم على غيرهم.
هذه حياتي حقيقة كما هي صورت باسلوب ظهر حزينا خلاف ما ألفه الاخوان من ابتسامة دائمة واشراقة ترتسم على وجهي وصدر رحب، احاول ان اعوض بضحكي ومرحي عما افقدتني اياه الايام ويجد الباحث صداه العميق في شعري.

عن كتاب (شعراء العراق في القرن العشرين) ١٩٦٩

صديقي يوسف عز الدين!

انيس منصور

لي صديق.. ليته صديقك أيضا، أطال الله في عمره.. إنه عراقي.. هو م.د. يوسف عز الدين عضو المجمع اللغوي المصري وعدد كبير من المجامع اللغوية.. شاعر.. ناقد.. مؤرخ.. ودود.. محب لبلده ولبلدنا أيضا.. وله ولدان طبيبان في بريطانيا أستاذان في الجامعة، الأول اسمه موئل والثاني اسمه أسل.. والأسل هو شوك الورد. أحبهما لأنها يحبان أباهما ولأنهما باران به..

وكلما سألت عن يوسف عز الدين وجدت حالته الصحية ضعيفة. فأقول له: يا يوسف يجب أن تعتدل في المسائل الجنسية.. ويظل يضحك ويضحك حتى أخشى عليه أن يموت من الضحك. وليس من حاجة إلى الإجابة عن السؤال أو التعليق عليه.. ففي هذه الضحكة إجابة شافية عن كل ما أردت أن أقوله. ولكي أداعبه وأفرفشه أكثر فإنني أطلب إليه ألا يتزوج بريطانية في هذه السن وهذه الصحة. ويستأنف الضحك.. ويسعدني ذلك. وندخل في موضوعات أخرى.. حال الأدب والفن في بلادنا.. إنه يكره السياسة، وقد شرب بسببها المر في العراق حتى ترك العراق.. ولذلك فهو يحب أن يتكلم في الأدب والفن.. وهو ناقد أمين مخلص معتدل. وهو في نفس الوقت شاعر قوي بديع ومحب للشعر والشعراء أيضا..

وله مشكلة في مصر غريبة.. ففي مصر أديب آخر روائي اسمه يوسف عز الدين عيسي. وكلما ذهب يوسف عز الدين العراقي يسأل عن حقوق النشر، قيل له إن يوسف عز الدين المصري قد قبضها..

وضاقت به وبنا هذه الدنيا.. وكان الأديب المصري يوسف عز الدين عيسي رجلا مهذبا رقيقا لا يعرف أن هناك أديبا عراقيا له نفس الاسم. وارتبكت الأمور وضاعت فلوس يوسف عز الدين العراقي، فقد ذهبت كلها إلى يوسف عز الدين المصري. وحاولنا وفشلنا في أن نعيدها إليه.. وعليه العوض في كل هذه الجهود التي بذلها الأديب العراقي في القراءة والكتابة والنقد والنشر..

وأخيرا قلت له: يا يوسف لقد مللنا هذه اللعبة ولم نعد نعرف ماذا نصنع.. فكان من رأي يوسف عز الدين العراقي: أنه لا يهم ما دامت الحقوق تعطى، لأصحابها أو لغير أصحابها.. فالفلوس هي أقل ما ضاع منا؛ فالذي ضاع كثير. والبقية في حياتك!

عن جريدة الشرق الاوسط اللندنية